الفرسان الثلاثة

تأليف : الكسندر دوماس
تبسيط : مانفريد جراهام

ترجمة : صبرى الفضل
مراجعة : مختار السويفى



١٩٨٦

روائع الأدب العالمي للناشئين

إلى
الجميلة الغالية دينا،
مع تمنياتي الطيبة

صبري الفضل
٨٦/١٢/١٠

الفرسان الثلاثة

المشرف على التحرير : مختار السويفى

الاخراج الفنى : انعـام صـالح

مقدمة ونبذة عن المؤلف

يعرف مؤلف هذه القصة باسم الكسندر دوماس الأب ، للتمييز بينه وبين ابنه الكسندر دوماس ، الذى كان كاتبا مشهورا أيضا .

قام دوماس الأب ، خلال كفاحه فى تعليم نفسه ، بدراسة عميقة للتاريخ الفرنسى ، فكان من نتاجها كتابة العديد من الروايات التاريخية . وكان خيانه حيا وخصبا ، صاغه فى مؤلفات عديدة باسمه ، يبلغ عددها ٢٥٧ كتابا فى الرحلات والحكايات والروايات وحتى قصص الأطفال ، بالاضافة الى حوالى ٢٥ كتابا

فى المسرح والشعر . ولكن أفضل ما عرف من مؤلفاته هى : الفرســـان الثلاثة ، وعشرون عاما فيما بعد ، والكونت دى مونت كريستو ، والزنبقة السوداء .

وتعد رواية الفرسان الثلاثة من أجمل الروايات التاريخية التى كتبها دوماس ، والتى تجرى أحداثها فى فرنسـا أيـام الملك لويس الثـالث عشر ووزيره الكاردينال ريشيليو ، وشخصياتها الرئيسية ثلاثة من فرسان الملك مع رفيق لهم ، شـــاب ثائر من جنـود الحرس . كان اخلاصهم لبعضهم البعض لاينفصـــم ، وتمسكوا بايمان راسخ بشعار « الكل للواحد والواحد للكل » . وكانوا جميعا رجال سيف مدهشين ، وكانت سيوفهم تومض بعزم لايخور ، سواء فى خدمة مليكهم أو فى تنفيذ المغامرات الخاصة بهم .

والرواية عبـــارة عن مؤامرات تجـرى فى بلاط الملك ، ومبارزات ، ومغامرات شيطانيـة محبوكة فى مهارة فائقة ، ومصاغة فى قالب قصصى رائـع قرأها العالم مرات ومرات ولايزال .

ـ المترجم ـ

مكان وزمان القصة : فرنسا عام ١٦٢٥ م

الشخصيات الرئيسيه

آتوس
بورتس } الأسماء المستعارة للفرسان الثلاثة ٠
أراميس

دارتنيان : شاب جاسكونى ٠

الملك : لويس الثالث عشر ، ملك فرنسا ٠

الملكة : آن ، ملكة فرنسا ٠

الكاردينال : نيافة الكاردينال ريشيليو ، رئيس وزراء الملك ٠

الدوق : دوق باكنجهام ، نبيل انجليزى ثرى ٠

ميليدى : سيدة جميلة من عملاء الكاردينال السريين ٠

الفصل الأول

الأب وهداياه الثلاث

كان لويس الثالث عشر ملك فرنسا يعتبر نفسه أحد رجال السيف البارعين في مملكته ، ومع ذلك كانوا يسمعونه يقول دائما :

– لو كان لى صديق يريد النزال فى مبارزة ❋ ،

(★) كانت المبارزة عبارة عن قتال بالأسلحة ، وهى عادة مسدسات أو سيوف ، تقوم بين شخصين بغرض فض نزاع أو خلاف شخصى . وعادة ما يترك ترتيب الموعد والمكان والأسلحة فى أيدى أصدقاء المتنازعين الذين عليهم حضور المبارزة ، ليتأكدوا بأنفسهم من مراعاة القواعد والقوانين ، وأن القتال كان عادلا ، وكثيرا ماكانوا =

ويحتاج لمبارز ، لنصحته أن يختارنى أولا ، ثم تريفى ثانية ، بل ربما تريفى أولا ٠

كان مسيو دى تريفى أحد الأصـــدقاء المقربين للملك ، وأكثرهم اخلاصـــا بكل تأكيد ٠ وكان من الضرورى فى تلك الأيام أن يحيط الملك نفسه برجال مخلصين أمثـــال تريفى ، ولذلك ، عينـــه لويس الثالث عشر ، فى أول فرصـــة بعد ما أصبح ملكا ، رئيسا للحرس الملكى الخاص ــ الفرسان ٠

وكان رئيس وزراء الملك ، الكاردينـــال ريشيليو يتمتع باحترام لايقل عما يتمتع به الملك ، بل وكان مهابا أكثر من الملك نفسه بكل تأكيد ٠ وعندما رأى الحرس القوى الذى عينه وأشرف عليه مسيو دى تريفى

= ينخرطون هم أنفسهم فى قتال بينهم بعد ترتيبات مسبقة ٠ وكانت المبارزة بين النبلاء فى زمن هذه الرواية عرفا سائدا وتحدث لأهون الأسباب ٠ ولذلك وضع الكاردينال ريشـــيليو حظرا على المبارزة ، وأصبحت المبارزة فى كل من انجلترا ، وفرنسا مخالفة للقـــانون لما يزيد عن ثلاثمائه سنة ٠

ليحيط بالملك ، قرر أن يكون لديه حرسه الخاص مثلما كان للملك فرسانه . وتبارت هاتان الفرقتان من الرجال الجسورين على ضم أمهر وأجرأ رجال السيف فى صفوفهما .

وكانت المشاجرات ومعارك القتال والهجوم المباغت من الأحداث اليومية فى ذلك الزمن ، فيتشاجر النبلاء المتغطرسون ويتآمرون ضد بعضهم البعض ، مع وجود اللصوص والشحاذين المحترفين والمغامرين والأوغاد المستعدين لازعاج أى شخص . وكثيرا ما كان المواطنون أنفسهم يقاتلون هؤلاء الضالين الذين غالبا ما يكونون من النبلاء ، ولكنهم لايعادون الكاردينال مطلقا .

وكان من الطبيعى ، عندئذ ، أن يتأجج فضول المواطنين فى ميونج عند سماعهم لأى ضجة أو أصوات مرتفعة بالقرب من فندق « جولى ميلر » ، فاندفعوا وفى يديهم كل ما يمكن استخدامه كسلاح ، نحو الفندق الذى تزاحم الناس أمامه ، يتكلمون ويصرخون . ولم يكن من الصعب اكتشاف سبب الازعاج .

كان سبب الازعاج شابا صغيرا ، جاسكونى (*) بلا شك ، اذ من السهل ملاحظة ذلك فى العيون المفتوحة الذكية والأنف السوى • وكان جسمه يبدو ضخما بالنسبة لشاب فى مثل سنه • وتراه العين البصيرة كأنه ابن فلاح على سفر ، فيما عدا السيف الطويل المعلق بجانبه •

لفت جواده انتباه كل الناس ، اذ كان عمره ما بين اثنى عشر وأربعة عشر عاما ، وعليه غطاء أصفر ، وذيل مجرد من الشعر تماما ، وكان يسير ورأسه منخفض عن مستوى ركبتيه ، ويبدو أن هذه هى عادته ، ومع ذلك استطاع أن يسير فراسخه الثمانية يوميا •

(★) مواطن من جاسكونيا مقاطعة بجنوب غرب فرنسا قبل ثورة عام ١٧٨٩ • وكان الجاسكونيون ولا يزالون مشهورين بالتباهى والتفاخر • وهناك قصة تحكى أن جاسكونيا سأله أحدهم عن رأيه فى اللوفر ـ قصر ملكى فى باريس ـ فأجاب قائلا : انه لا بأس به ، فهو يذكرني باسطبلات أبي ، والمعروف عن الجاسكونيين أنهم فقراء •

ولم يستطع دارتنيان ـ وهذا هو اسم الشاب ـ أن يحجب عن نفسه المظهر الساخر الذى كان عليه وهو فوق مثل هذا الحصان ، وهو الخيال البارع ۰ لذلك تنهد بشكل عميق ذلك الصباح ، عندما قبل الهدية من أبيه ۰۰ اذ قال السيد الجاسكونى الكبير :

ـ ولدى ، لقد ولد هذا الحصان فى اسطبلاتى منذ حوالى ثلاثة عشر عاما ، وخدمنى باخلاص منذ ذلك الحين ۰ وهذا لابد أن يجعلك سعيدا لامتلاكه ۰

ثم أردف والد دارتنيان قائلا :

ـ والآن ، حيث انك سوف تشق طريقك فى معترك الحياة بنفسك ، فحافظ على اسم العائلة ، ولا تقبل النقد من أحد سوى الكاردينال والملك ۰ ولا تخش القتال مطلقا ، بل ابحث عن المغامرة ، فلقد علمتك كيف تستخدم السيف ، وحارب فى جميع المجالات ۰

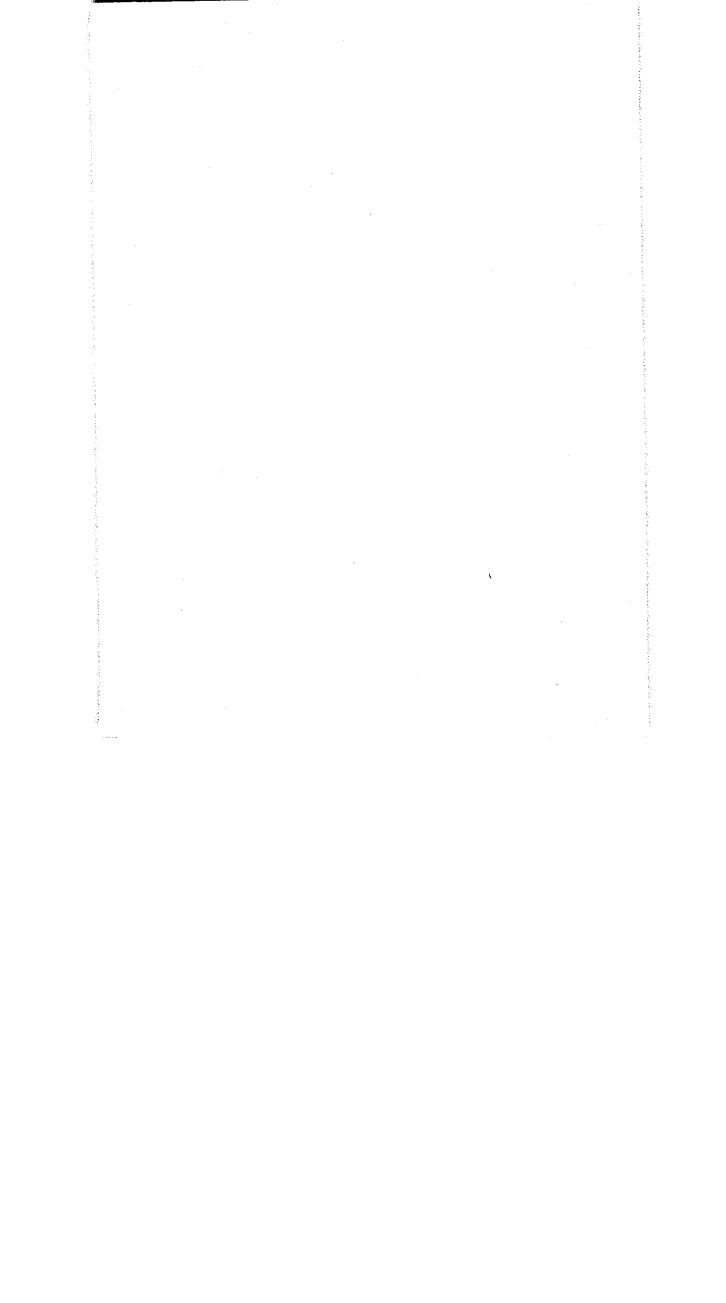
واضاف الرجل العجوز :

ـ وعندما تصل باريس خذ هذه الرســالة الى مسيو دى تريفى شخصيا ، فلقد كان هذا السيد النبيل جارا سابقا لى · ولقد كان له الشرف أن يتم اختياره مرافقا للملك قبل جلوسه على العرش · وهو حاليـا رئيس الفرسان أو بالأحــرى رئيس الحرس الملكى الخاص · وعلاوة على ذلك ، يكسب مسيو دى تريفى عشرة آلاف كرون (*) ســنويا ، ولذلك فهو نبيل من النبلاء العظام · ولقد بدأ كما تبدأ أنت الآن ·· اذهب اليه بهذه الرسالة ، واجعله قدوتك ، لعلك تصـبح ناجحـا مثله · ليس لدى شىء لأعطيه لك يا ولدى ،

(★) كانت العملة الفرنسية المستخدمة فى زمن هذه الرواية ذات قيمة متغايرة فى أماكن مختلفة من البلاد ، وفى فترات مختلفــة : فالجنيه : يساوى الفرنك الحالى تقريبا · الكرون : يســاوى ثلاثة جنيهات · والبستول : عملة ذهبية تساوى عشرة جنيهات تقريبا · واللويس : عملة ذهبية تساوى أربعة وعشرين جنيها تقريبا ، ولقد صكت فى عهد الملك لويس الثالث عشر وسميت باسمه ·

سوى خمسة عشرة كرونا ، وجوادى ، والنصيحة التى قدمتها لك ·· استفد من هذه الهدايا الثلاث ، وعش سعيدا ·· وطويلا ·· !

وعلق مسيو دارتنيان بعد ذلك سيفه على جانب ابنه ، وقبله فى وجنتيه ، ومنحه بركاته !



الفصل الثانى

الاهانة والتحدى

عندما وصل دارتنيان الى ميونج ترجــل من على جواده أمام فندق « جولى ميلر » • فلاحظ أثنــاء ذلك رجلا عابسا يقف عند نافذة نصف مفتوحة فى الطابق الأرضى • وكان يتحدث مع شخصين آخــــرين ، فى الحجرة من خلفه ، وقد بدا على الرجلين الانصات اليه باحترام غير عادى • واعتقد دارتنيان بالطبع بأنه هو موضوع حديثهم حيث ان الرجل كان ينظر فى اتجاهه بثبات ، ولذلك تصنت لما كانوا يقولون •

وكان فى الحقيقة مخطئا الى حد ما • اذ اتضح أن السيد يناقش أوصاف الحصان ، وانفجر المستمعون فى

الضحك بشكل متكرر ·· ومن السهل تخيل الأثر الذى أنتجه ذلك الحديث عن دارتنيان ، حيث ان نصف ابتسامة كانت كافية فى تعكير مزاج الشاب الصغير السهل الاثارة ·

وفى هذه اللحظة نفسها ، أبدى السيد ملاحظة مضحكة عن الحصان ·· فضحك الآخران بصوت أعلى من قبل ، وحتى هو سمح لابتسامة باهتة أن تظهر على وجهه ، رغم غرابة ذلك · وتأكد دارتنيان فى هذه المرة ، بلا أدنى شك ، فى أنه قد أهين ، واقتناعا منه بذلك تقدم نحوهم قائلا ، ويده على مقبض سيفه والأخرى على خاصرته :

ـ أقول يا سيدى ، أنت يا سيدى ، يا من تخفى نفسك خلف النافذة ·· أخبرنى على ماذا تضحك وسوف نضحك سويا !

أدار السيد عينيه ببطء من الحصان الى صاحبه ، وكأنه يطلب بعض الوقت ليتأكد من أن هذا الكلام موجه

اليه ، وبعد أن زايله أى شـك فى الحقيقة ، عبس وأجاب على دارتنيان بطريقة مترفعة :

ـ اننى لم أكن أكلمك !

فأجاب الشاب الذى شاط غضبه بهذا الخليط من الأدب والاحتقار :

ـ ولكنى أتكلم معك !

فنظر اليه السيد المجهول ثانية بابتسامة باهتة وغادر النافذة ، ثم خـرج من الفندق ، ووقف أمام الحصان على مسافة خطوتين من دارتنيان ، ثم قال :

ـ أكان هذا الحصان زهرة برية فى صـباه ؟ فلونه معروف جدا بين الزهور ، ولكنه حتى الآن نادر جدا بين الجياد !!

كان يوجه قوله للرجلين اللذين مازالا يقفـان عند النافذة ، متجاهلا دارتنيان كلية ٠

فصرخ الشاب فى غولة غضبه :

ـ هناك اناس يضحكون على حصـــان ، ولكنهم لا يجرءون أن يضحكوا على سيده !

فقال السيد المجهول :

ـ اننى عادة لا أضحك يا سيدى ، ولكن مع ذلك أضحك عندما يسرنى أن أفعل ذلك ٠

فصاح دارتنيان :

ـ وأنا سوف لا أسمح لأى انسان أن يضحك عندما يسوءنى ذلك ٠

فأردف السيد بهدوء :

ـ أهكذا يا سيدى ؟

واستدار على عقبيه ليدخل الفندق ثانية ٠

ـ التفت ! التفت ! مســيو جوكر والا سوف أضربك من الخلف ٠

فقال الآخر ملتفتا للشاب وناظرا اليه بكثير من الاندهاش والاحتقار :

ــ تضربنى ! لماذا ! يا صـــاحبى الطيب ، لابد أنك مجنون !

ثم أردف فى نبرة منخفضة **وكأنه يحدث نفسه :**

ــ انه لشىء مزعج !

ولم يكد ينتهى من قول ذلك حتى انقض دارتنيان بهجوم هائـج ، ولو لم يقفز السيد بسرعة للخلف ، لكانت هذه آخر مزحة له ، وعندما رأى أن الشاب جاد حقا ، سحب المجهول سيفه ووقف فى وضع دفاعى ·· وفى نفس الوقت هجم الرجلان من الفندق ، مع صاحب الفندق نفسه على دارتنيان بالعصى الثقيلة ، وعنـدما التفت دارتنيان لمواجهة وابل الضربات ، غمد المجهول سيفه بهدوء ، وبدلا من انغماسه فى قتال فعلى اكتفى بأن أصبح متفرجا · وأصبح باردا مطمئنا ، **ومع ذلك تمتم لنفسه :**

ــ اللعنة على هؤلاء الجاسكونيين ! ·· ضعوه على حصانه الأصفر وأبعدوه !

فصاح دارتنيان بشجاعة :

ـ ليس قبل أن أقتلك ياجبان !

ووقف ثابتـــا فى وجه مهاجميه الثلاثة الذين استمروا يمطرونه بالضربات · وهمهم السيد :

ـ بشرفى ، ان هؤلاء الجاسكونيين متهورون ! دعـوه يرقص هكذا اذن ، طالمـا أنه يرغب فى ذلك ، وعندما يتعب فربما سيقول بأنه اكتفى !

ولكن لم يكن يعرف المجهول ، الشخص ذا العزم والتصميم الذى عليه أن يتعامل معه ، فلم يكن دارتنيان بالرجل الذى يطلب العفو ·· لذلك استمرت المعركة الراقصة حتى أسقط دارتنيان سيفه مكسورا نصفين بضربة من عصا ! وبضربة أخرى على رأسه غير المحمى حاليا طرحته أرضا مثخنا بالجراح وفاقد الوعى تقريبا·

وتجمع الناس فى هذه اللحظة من جميع الجهات ·· وخوفا من العواقب حمل صاحب الفندق الشــاب المجروح الى المطبخ ، وأمر بتنظيف جروحه وتضميدها·

الفصل الثالث

ميليدى تقابل المجهول وتتلقى التعليمات

عاد السيد الى غرفته وراقب الزحام من النافذة بصبر نافد · وكان ضيقه واضحا لأنهم لم ينفضوا ذاهبين ، واستفسر من صاحب الفندق ، الذى جاء يسأل بأدب عن ضيفه ان كان قد أصيب بأى أذى :

ـ حسن ، وكيف حال هذا الفتى المجنون ؟

فرد عليه مستفسرا :

ـ آمل يا صاحب السعادة أن تكون سالما معافى ·

ـ أوه ، أجل ، سالما ومعافى تماما ·· ماهى أخبار الأحمق الصغير ؟

فقال صاحب الفندق :

– أنه أحسن حالا ، لقد أغمى عليه فقط :

فقال السيد :

– حقا ؟!

– لكن قبل أن يغمى عليه جمع كل قواه ليتحداك ويدعوك للمبـارزة ٠ وقال ان كان ذلك حـدث فى باريس لكنت ندمت عليه بسرعة ٠

فقال السيد ببرود :

– اذن ، لا بد أنه أمير متخفى ٠٠ هل ذكر اسم أى أحد وهو فى ثورة غضبه ؟!

– أجل ، لقد دس يده فى جيبه وقال « سوف نرى ما ينويه مسيو دى تريفى ازاء هذه الاهانة الموجهة لمن هو فى حماه » ٠

فقال المجهول متنبها :

– مسيو دى تريفى ٠٠ دس يده فى جيبه وهو ينطق اسم مسيو دى تريفى ! ٠٠ والآن ، يا عزيزى ٠٠

بالتأكيد لم تغفل ، أثنـاء ما كان الفتى فاقد الوعى ، أن تكتشف ما كان فى جيبه ٠ ماذا كان فيه ؟

– رسالة موجهة الى مســيو دى تريفى رئيس الفرسان ٠

فهمهم الرجل لنفسه :

– ترى هل أرسل تريفى هذا الشاب الجاسكونى خصيصا ليهاجمنى ؟ انه ٠٠ انه صغير جدا ٠٠ ولكن طعنة السيف هى طعنة السيف ، مهما كان عمر من يطعنها ٠٠ بالاضافة الى أن الشاب الصغير ليس محل شبهة مثل الرجل الكبير ٠

وبقى فى تفكير عميق لبعض الوقت ثم قال :

– الا تستطيع أن تتخلص من هذا الولد المجنون من أجلى ؟ ففى الحقيقة لايمكننى قتله ، رغم أنه يزعجنى ٠٠ أين هو ؟

– فى غرفة بالطابق الأول ، حيث يضمدون له جروحه ٠

ـ هل أغراضه وحقيبته معه ؟ هل خلع ثيابه ؟

ـ كل شيء موجـــود فى المطبخ ، ولكن هـــل يضايقك هذا الولد الأحمق ؟!

ـ بالتأكيد يضايقنى ، ولقد تسبب فى ازعاج عام بفندقك ، ولا يحب الناس المحترمون هذا · اذهب وجهز لى فاتورتى ، وبلغ خادمى بالاستعداد للرحيل ·

ـ ماذا ! يا صاحب السعادة ، هل ســتغادرنا بهذه السرعة ؟

ـ أنت تعلم بأننى كنت مغادرا ، حيث قد أعطيت أوامرى باعداد حصانى ، ألم تنفذ هذه الأوامر ؟!

ـ لقد تم تنفيذ أوامرك ، ولعلك لاحظت ياصاحب السعادة أن حصانك جاهز أمام البوابة بعد أن سرجوه ·

ـ فلتأتنى بالفاتورة اذن ·

وبنظرة آمرة من السيد انحنى صاحب الفندق بتواضع ، وخرج من الغرفة ·

وهمهم الغريب لنفسه :

ـ ليس من الضرورى أن يـرى هذا الشخص ميليدى ، وهى الآن فى طريقها الى هنـــا ٠٠ بل لقد تأخرت عن موعدها ٠ من الأفضـــل أن أمتطى صـهوة جوادى ، وأذهب للقائها ٠٠ ولكنى أحب أن أعرف مافى هذه الرسالة الموجهة الى مسيو دى تريفى ٠

واتجه بعدئذ ببطء نحو المطبخ ٠

وفى هذه الاثنـــاء ، ذهب صاحب الفندق الى دارتنيـــان حيث وجده يستعيد وعيه ، فأخبره بـأن الشرطة قد تتعامل معه بشدة لأنه تشاجر مع ســـيد عظيم ، وأصر على أن يغادر دارتنيـان الفندق بأسرع ما يمكن ٠

فنزل دارتنيان السلم وهو مازال نصف واع ، ورأسه معصوب ، ودخل الى غرفة بالطابق الأرضى ، وعندما نظر من النافذة رأى السيد المجهول يتكلم بهدوء الى شخص ما فى عربة يجرها حصانان رائعان ٠

كان يمكنه رؤية الشخص الذى يتحدث معـــه بوضوح من خلال نافذة العربة ورأى دارتنيان فى لمحة واحدة أنها سيدة فى حوالى الثانية والعشرين من عمرها، تتمتع بجمال أخاذ ·· شقراء ، رفيعة ، ذات خصلات شعر ملتوية طويلة تسقط فوق كتفيها ·· وعينـاها واسعتان زرقاوان وحالمتان ·· وشفتاها ورديتان ·· ويداها بيضاوان ناعمتان ·· وكانت تتحدث بطريقـة منفعلة مع المجهول ·

وقالت السيدة :

ـ لقد أمرنى نيافته ··

ـ أن تعودى الى انجلترا فى الحال ، وان تخبرى دوق باكنجهام (*) أن يغادر لندن فورا ·

(★) كان لدى الكاردينال ريشيليو الأسباب فى أن يرتاب فى أن دوق باكنجهام على وشك المغامرة بالقيام بزيارة سرية لباريس ليرى الملـــكة · وكان ريشيليو يعى جيـــدا أن الاثنين مغرمان ببعضهما وكان يأمل بواسطة جواسيسه ان يحصل على دليل للقائهما ·

فسألت المسافرة الشقراء :

– وماذا بخصوص التعليمات الأخرى ؟

– انها موجودة فى هذا الصندوق الذى لايجب ان تفتحيه قبل أن تصلى الى انجلترا ·

– حسن جدا ، وأنت ؟ ماذا ستفعل ؟

– سأعود الى باريس ·

فقالت السيدة مستفسرة :

– ماذا ؟ ألن تعاقب هذا الولد الوقح أولا ؟

وعندما كان المجهول على وشك الاجـابة ، اندفع دارتنيان ، الذى كان يسترق السـمع ، خارجـا ، **وصاح :**

– ان هذا الولد الوقح يعاقب الآخرين · وآمل ألا يهرب ، هذه المرة ، من يجب معاقبته ، كما حدث من قبل !

فاجاب المجهول عابسا :

ـ ألا يهرب ؟

ـ بلى ، انك لن تجرؤ على الهرب أمام امرأة على ما أعتقد ٠

فقالت ميليدى للمجهول الذى وضع يده على **سيفه :**

ـ تذكر ، تذكر أن أقل تأخير سيدمر كل شيء ٠

فصرخ السيد :

ـ انك على صواب ، اذهبى اذن فى طريقك ، وسأذهب أنا فى طريقى بأسرع ما فى طاقتى !

وانحنى للسيدة ثم قفز فوق حصانه ، وانطلقت هى فى عربتها فى الحال ٠ وهكذا تفرق الاثنان سالكين اتجاهين متضادين بأسرع ما يمكنهما ٠

وصاح صاحب الفندق ، الذى تغير **رأيه فى** المسافر عند رؤيته يغادر بدون تسديد حسابه :

– فاتورتك !

فصرخ المجهول فى خادمه :

– ادفع له :

فألقى الرجل بعدد من القطع الفضية الى صاحب الفندق ، ثم ركض خلف سيده .

وصرخ دارتنيان مندفعا الى الأمام :

– جبان ! جنتلمان مزيف !

وما كاد يسير عشر خطوات الا وهاجمته حالة اغماء ، **فسقط فى الشارع وهو لايزال يصرخ :**

– جبان ! جبان !

وافق صاحب الفندق ، معتقدا أن كلمة نفاق صغيرة لن تسبب أى ضرر :

– حقا انه جبان !

فهمهم دارتنيان :

ـ أجل ٠٠ جبان ٠٠ ولكن الفتاة جميلة حقا !

فسأله صاحب الفندق :

ـ من هى ؟

فهمس دارتنيان وهو يغمى عليه **ثانية :**

ـ ميليدى ٠٠ !!



واندفع دارتنيان خارجا

الفصل الرابع

بحث دارتنيان بلا جـدوى عن رسالة التوصية يلفت نظر صاحب الفندق

وفى الصـــباح التـالى عالج دارتنيان جروحه ، ووضع ضمادات جديدة حولها . وســار دارتنيان ذلك المساء بعد أن أصبح معافى ثانية تقريبا فى اليوم التالى، والفضل فى ذلك يرجع لشـبابه دون شك ، وربمـا لغياب الطبيب أيضا ؟

وعندما جاء موعد تسديد الحساب ، كانت النقود التى فى حوزته تكاد تكفى لحساب الغرفة ووجبة واحدة والضـمادات .. علاوة على أن حصانه ـ حسب قول صاحب الفندق ـ قد أكل ثلاثة أضعاف أى حصان فى

مثل حجمه .. ولم يجد دارتنيان فى جيوبه سـوى نقـوده ، أما الرسالة الموجهة لمسيو دى تريفى ، فقد اختفت !!

وبدأ الفتى بحثه عن الرسالة فى صبر عظيم . فقلب فى جيوبه مرات ومرات ، وبحث فى حقيبته بكل دقة ، ولما تأكد فى النهاية أن الرســالة غير موجودة بالفعل استشاط غضبا فى هياج رهيب ، وعندما رأى صاحب الفندق أن الفتى الهائج على وشك أن يحطم كل شىء بالفندق ، اذا لم يجد رسالتـه ، أمسك بقضيب المدفأة ، وأمسكت زوجته بيد المكنسة ، والخدم بالعصى التى استخدموها فى اليوم السابق .

وصاح دارتنيان :

ـ رسالة التوصية الخاصة بى ! رسالة التوصية ، والا أقسم بأن أمزقكم جميعا اربا اربا ؟ ولسوء الحظ كانت هناك عقبة كأداء ضد تنفيذ تهديده ، فلقد تحطم سيف دارتنيان الى قطعتين ، وهذا ما قد نسيه الفتى . وبالتالى ، عندما سحبه وجد نفسه مسلحا بقطعة سيف طولها حوالى عشر بوصات وقال خافضا سلاحه :

ـ على كل ، أين هذه الرسالة ؟

وبعد فترة صمت صرخ **دارتنيان ثانية :**

ـ أجل ، أين هى ؟ دعنى أحذرك بأن الرسالة هى لمسيو دى تريفى ، ويجب العثور عليها ، واذا لم يتم ذلك ، فسيعرف هو كيف يعثر عليها ، وسترى !

وأنهى صاحب الفندق ، بعد هذا التهديد ، الموقف على نحو حاسم ، فألقى بقضيب المدفأة الذى فى يده ، وأمر زوجته بأن تفعل بيد المكنسة نفس الشىء ، وبدأ يبحث فى نشاط عن الرسالة ٠٠ ومع ذلك خطرت لديه فكرة بعد فترة ، فصرخ فجأة :

ـ ان هذه الرسالة لم تضع ٠

فاستفسر دارتنيان :

ـ ماذا ؟

ـ كلا ، لقد سرقت منك !

ـ سرقت ؟ ومن الذى سرقها ؟

ـ السيد الجنتلمان الذى كان هنا بالأمس . فلقد تزل الى هذه الغرفة حيث تركت ملابسك ، وظل هنا لفترة .. لابد وأنه سرقها .

فقال دارتنيان وهو لايزال غير مقتنع :

ـ هل تظن ذلك ؟

فواصل صاحب الفندق قائلا :

ـ أقول لك اننى متأكد .. فعندما أخبرته بأنك فى حماية مسيو دى تريفى ، بل ومعك رسالة الى هذا السيد النبيل ، بدا عليه الاضطراب الشديد ، وسأل عن مكان الرسالة ، وفى الحال نزل بعد ذلك الى هنا حيث علم أنك تركت سترتك وأغراضك .

فأجاب دارتنيان :

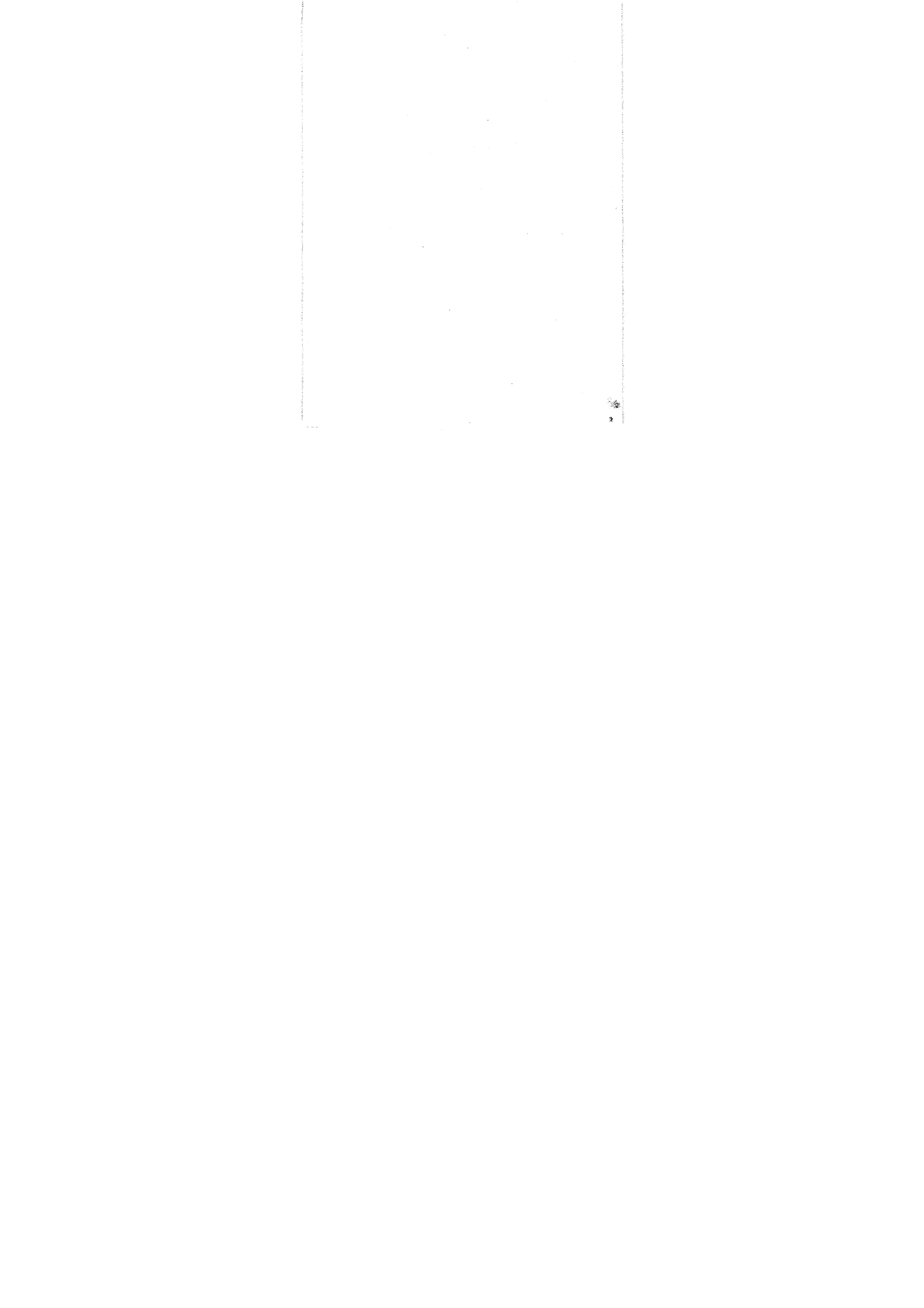
ـ اذن ، فلابد أنه لص . سأشكو للسيد دى تريفى .. و .. وسيشكو هو للملك .

ثم أخذ ، كرونين بطريقة مهيبة ، من محفظته

أعطاهما لصاحب الفندق ، الذى رافقه وقبعته فى يده حتى باب الفندق · واعتلى دارتنيان صهوة حصـــانه الأصفر الذى حمله دون حادث ، حتى بوابة سان أنطوان بباريس · وهناك باع حصانه مقابل ثلاثة كرونات ·· وهو سعر ممتاز !

وهكذا دخل المغامر الصغير باريس على قدميه ·· حاملا ممتلكاته القليلة فى حقيبة تحت ذراعه · وبعد بحث قصير ، عثر على غرفة للايجـــار مناسبة لظروفه المالية المحدودة · وذهب بعد ذلك للحصول على نصل جديد ليضعه فى جراب ســيفه · وفى طريق عودته سأل أول فارس رآه عن عنوان مقر رياســة مسـيو دى تريفى ، الذى اتضح انه قريب تمـاما من السكن الذى استأجره دارتنيان ·

وعندئذ ذهب الى فراشه ، ونام نومة شـــجاع راض بالطريقة التى تصرف بها فى ميونج ، وبدون أى أسف على الماضى ·· وبثقة فى الحاضر ·· وأمل كامل فى المستقبل ·



الفصل الخامس

دارتنيان يعجب باللعب بالسـيف على السـلالم ، ويبهـره شريط الكتف

كان فرسان الملك مجموعة من الأفراد الشجعان العفاريت · وكانوا لايتقيدون بالانضباط نحو الجميع فيما عدا نحو رئيسهم مسيو دى تريفى ·· كان يمكن رؤيتهم فى كل مكان يضحكون ، ويتحدثون بصـوت عال ، ويفتلون شواربهم ، ويصلصلون بسيوفهـم · وكانوا يجدون متعتهم الكبرى فى مضـايقة حـرس الكاردينال كلما سنحت الفرصة للالتقاء بهم · ولا يعبأ هؤلاء الرجال كثيرا بقانون حظر القتال فى المبارزات ·· وأحيانا يقتلون ·· ولكن غالبـا ما يقتلون ·· وهم

متأكدين من عدم بقائهم فى السجن طويلا ٠٠ فمسيو دى تريفى موجود للمطالبة باطلاق حريتهم ٠

وكان مديح هؤلاء الرجال لمسيو دى تريفى يصل عنان السماء ، فهم يكادوا يعبدونه ٠ وبرغم أنهم كانوا جسورين ، الا أنهم كانوا مطيعين لأدنى كلمة منــه ، ومستعدين للتضحية بأنفسهم لغسل أصغر اهانة له ، أو للفرسان الذين يرأسهم ٠

كان مقر رياســـة مسيو دى تريفى فى باريس يشبه معسكرا مسلحا فى جميع الأوقات ٠ ولايوجد أقل من خمسين أو ستين فارســـا متجمعين فى الســاحة والممرات ٠ وكان يحل أحدهم محــل الآخـــر عندما لايكونون فى الخدمة بالقصر حتى يحافظوا على المظهر الجليل بقدر الامكان ٠ فكانوا يســيرون حول القصر بافتخار مسلحين حتى أسنانهم ، ومستعدين لأى شىء ٠

كان التجمع يبدو فى شـــكل مهيب عندما قدم دارتنيان ، وكأنه شخصية ذات أهمية عظيمة فى زيارة لمسيو دى تريفى ٠٠ وبمجرد مرور دارتنيان من أبواب

المدخل الضخمة والمغطاة بالمسامير ذات الرؤوس المربعة الكبيرة ، وجد نفسه وسط عدد من رجال السيف البارعين ، يتداعبون ويتشاجرون بشكل هزلى مع بعضهم البعض ، ولا يصطفون جانبا الا لضابط أو لنبيل أو لسيدة ٠

وتقدم الفتى بقلب يخفق فى وسط هذه الضجة ، وتنفس بحرية أكثر عند اجتيازه احدى المجموعات ، ولكنه لاحظ أنهم يرمقونه باهتمام ٠٠ وأحس دارتنيان لأول مرة فى حياته ، وهو المعتز بنفسه ، بشىء من عدم الراحة ٠

وزاد قلقه عند وصوله الى مهبط سلم عريض كبير ، فهناك أربعة فرسان ، على السلالم ، يسلون أنفسهم باللعب بالسيف بينما يقف حولهم عشرة آخرون أو أكثر ينتظرون دورهم ٠٠ كان أحد الأربعة يقف على سلمة عليا ، وسيفه العارى فى يده محاولا منع الثلاثة الآخرين من الصعود ٠ وأخذ هؤلاء الثلاثة يبارزونه بسيوف عاقدة العزم ضده ، ولكن الفارس المبارز احتفظ بالتفوق على غرمائه الثلاثة بشكل ماهر !

ويبدو أن القاعدة كانت أن يخطو جانبا أى رجل يتم لمسه ، ويأخذ محله شخص آخر ، وأصاب المدافع عن السلم ، فى خلال خمس دقائق ، ثلاثة بجـــروح طفيفة ، واحد فى اليد وآخـــر فى الذقن وثالث فى الأذن ، وظل هو سليما لم يمس ٠٠ ولم ير دارتنيان مثل هذه المهارة وهذه الجرأة مطلقا ٠

وبعد فترة لاحظوا وجوده ، فجاءه رسول يسأله عما يريد ، فأعطى اسمه بتواضع ، وطلب مقابلة قصيرة مع مسيو دى تريفى ، فوعده الرسول بأخذ هذا الطلب الى الرئيس ٠ وأصبح وقت دارتنيان يسمح له حاليا بالفرجة على من حوله ٠

كان فى منتصف هذه المجموعة المفعمة بالحيوية فارس يبدو متغطرسا ، وكان يرتدى ملابســه بطريقة مختلفة للفت الانتباه العام ٠ لم يكن يرتدى عباءة الزى الموحد مثل ٠ الآخرين ، بل سترة زرقاء سماوية باهتة وبالية بعض الشيء ، ومن فوقها شريط كتف رائع ، مطرز بالخيوط الذهبية التى تلمع كتموجات الماء فى الشمس، وتنسدل من على كتفيه العريضين عبــاءة طويلة من

القطيفة القرمزية مفتوحة من الأمام لتظهر هذا الشريط الرائع والذى يتعلق فيه أكبر سيف رآه دارتنيان فى حياته ·

ويبدو أن هذا الفارس قد أتى لتوه من حراسة القصر · كان يشكو اصابته بالبرد بأن يسعل من وقت لآخر لاثبات ذلك ، وأخبر من حوله بأنه ارتدى عباءته بسبب هذا البرد · وعندما كان يتفوه بذلك بشكل مترفع كان يفتل شاربه مختالا ، والجميع معجبين بشريط كتفه المزين بشكل جميل ·· وكان اعجاب دارتنيان به يفوق الجميع ·

وقال من يدعونه بورتس :

– بشرفى ، لقد اشتريتها بنفسى بكل ما فى محفظتى ·

فقال أحد الفرسان ضاحكا :

– ربما ، بنفس الطريقة التى اشتريت أنا بها

هذه المحفظة الجديدة بالنقود التى وضعها أحدهم فى المحفظة القديمة ٠

فقال بورتس :

ـ ومع ذلك ، فهذا حدث ٠٠ والدليل أننى دفعت فيها اثنى عشر بيستولا ٠ ثم أردف قائلا وهو يلتفت الى فارس آخر :

ـ أليس كذلك يا أراميس ؟

كان هذا الفارس ، الذى يناشده التأكيد على كلامه ، على النقيض من بورتس كلية ٠ كان شابا فى الثالثة والعشرين تقريبا ، نادرا ما يتكلم ، وعندما يتكلم فببطء وبهدوء ، وكان ينحنى كثيرا جدا بطريقة مؤدبة ونبيلة ٠٠ وأجاب مناشدة صديقه بايماءة من رأسه ، رغم أنه لا يبدو ملتفتا مطلقا لتباهى بورتس ٠

بدا هذا التأكيد مبددا لجميع الشكوك فى أصل شريط الكتف الرائع هذا ٠ ورغم استمرار اعجاب الفرسان به الا أن المحادثة تحولت الى موضوعات أخرى٠

وخرج بعد ذلك الرسول من مكتب مسيو دى ثريفى وصاح :

– مسيو دى تريفى ينتظر مسيو دارتنيان ٠

وقف الجميع صامتين ، عند سماع هذا البلاغ ، وظل باب المكتب مفتوحا ، وعبر الفتى القاعة بطولها وسـط هذا الصمت ودخـل المكتب الخاص برئيس الفرسان ٠

الفصل السادس

استقبال دارتنيان رسميا ، وسماعه أكثر مما يتوقع

كان مسيو دى تريفى فى هذه اللحظـــة متعكر المزاج نوعا ما ٠ ومع ذلك ، ابتسم لسماعه أول كلمات دارتنيان ، الذى انحنى تماما حينما دخل ٠٠ لقد أعادت لذاكرته الطريقة الجاسكونية فى الحديث أيام شبابه وموطنه ، ولكنه أشار اليه بالانتظار قليلا وخطا نحو الباب ، **ونادى بصوت مرتفع آمر :**

ــ آتوس ! بورتس ! أراميس !

ترك فى الحال الفارسين اللذين أجابا على الاسم الثانى والثالث من رفاقهم ، وأسرعا الى المكتب ٠

أخذ مسيو دى تريفى يذرع الغرفة ذهابا وايابا فى صمت وعلى حاجبيه تكشيرة عميقة ، مارا أمام بورتس وأراميس الواقفين فى اعتدال وكأنهما فى استعراض عسكرى .. ثم توقف فجأة أمامهما مباشرة ملقيا عليهما بنظرة غاضبة من رأسيهما الى أخمص قدميهما ، **وصاح قائلا :**

ـ هل تدرون ما قاله لى الملك مساء الأمس فقط ؟ هل تدرون يا سادة ؟

فأجاب الاثنان بعد فترة صمت :

ـ كلا ياسيدى .. كلا ياسيدى ، لاندرى .. !

ـ لقد أخبرنى بانه سيختار فرسانه من بين حرس الكاردينال فى المستقبل !

فاحمر وجه الفارسين بالحنق على الاهانة .. وشعر دارتنيان بالحرج الشديد ، وتمنى أن ينزل مائة قدم تحت الأرض .

واستمر مسيو دى تريفى قائلا ، وغضبه يزداد حـدة :

ـ أجل ، أجل ، لقد كان جلالته على حق · ولقد قص الكاردينال على الملك بالأمس أثناء لعبه الشطرنج معه ، كيف قمتم بالشغب ، أنتم يا فرسان يامتبجحون، يا من تتحدون الشياطين ·· وكيف اضـطر حراسه للقبض عليكم ·· لقـد ظننت أنه يســخر بى ·· ياللسماء ! لا بد أن لديكم علما بذلك ·· يقبضون على فرسانى ! لقد كنتم بينهم ، بينهـم ! لاتنكروا ذلك ؛ لقد تعرف عليكم الكاردينال وذكر أسماءكم ·· وأنت يا أراميس لماذا طلبت الزى الرسمى بينمـــا كان من الأفضل لك أن تدرس فى الدير ؟ وانت يابورتس هل يتدلى سيف من القش من على شريط كتفك الجميل ؟ وآتوس ـ اننى لا أرى آتوس ؟ أين هو ؟!

فاجاب ارامیس فى نبرة آسفة :

ـ سيدى ، انه مريض جدا ·· مريض جدا ·· !

ـ مريض ·· تقول مريض جدا ؟

فاجاب بورتس حتى لا يبقى خارج المحادثة :

ـ أجل ياسيدى ، بكل أسف !

ـ مريض ! لا أعتقد ذلك · فالاكثر احتمالا أنه جريح ·· أو ربما قتل · آه !

لو أعلم · لن أسمح ، يا سادة ، بهذا التردد على قاعات الشرب ولا بهذه المشـــاجرات فى الشوارع ، ولا بهذا اللعب بالسيف فى الأماكن العامة ·· وفوق كل شيء لن أسمح باعطاء الفرصة لحرس الكاردينال أن يضحك عليكم ·· شيء جميل أن يقال عن فرسان الملك ·· فرسانى ، انهم يهربون ، يختفون لينقذوا أنفسهم!!

ارتعد بورتس وأراميس حنقا عند هذه الملاحظة · كان يمكنهما قتل مسيو دى تريفى عن طيب خاطر ، لو لم يعرفا أن حبه العظيم لهم ، كفرسانه ، هو الذى جعله يتكلم بهذه الطريقة ·

واستمر مسيو دى تريفى يقول لجنوده غاضبا :

ـ تفكروا فى ذلك ! فرسان الملك يتم القبض عليهم من قبل حرس الكاردينال ؟! ٠٠ ماذا ! ستة من حرس الكاردينـــال يقبضـــون على ستة فرســـان ! يا للسماء ! ٠٠ سأذهب مباشرة الى القصر ٠ سأسلم استقالتى للملك ، ثم التحق بحرس الكاردينـــال (ينظر مباشرة الى أراميس) ، واذا رفضنى سأدخـل الدير !

فقال بورتس ، وهو بالكاد يتمالك نفسه :

ـ حسن يا سيدى ، كنا ستة ضد ستة حقا ٠٠ لكننـــا لم نؤسر بطرق مشروعـة ، اذ قتلوا اثنين من فريقنا ، وجرحوا آتوس بشدة ، قبل أن يكون لدينا وقت لسحب سيوفنا ٠ أنت تعرف آتوس يا سيدى ٠ انه ليس جبانا ٠٠ انه لم يستسلم ! كلا ! لقد سحبونا عنوة ، ومع ذلك تمكنـــا من الهرب فى الطريق ٠٠ واعتقدوا أن آتوس قد مات فتركوه ، ولم يفكروا فى

ازعاج أنفسهم بحمله . هذه هى القصة كلها . ياللسماء! فالانسان لايستطيع أن يكسب كل معاركه ياسيدى !

وقال أراميس :

ـ وأستطيع أن أؤكد لك بأننى قتلت أحدهم بسيفه هو لأن سيفى قد كسر من أول ضربة .

فأجاب مسيو دى تريفى فى نبرة اهدأ بعض الشىء :

ـ لم أعرف ذلك .. أعتقد أن الكاردينال بالغ ، كما يفعل دائما !

فقال أراميس :

ـ ولكن ، أتوسل اليك يا سيدى .. لاتقل ، من فضلك ، ان آتوس قد جرح ، فسوف يكون فى حالة يائسة ، اذا سمع الملك بذلك . فالجرح خطير ، ويخشى أن ...

ارتفعت فى هذه اللحظة الستارة التى فوق الباب، وظهر منها وجه نبيـل جميل ، ولكنه شاحب بشكل مخيف ، **فصرخ الفارسان :**

ـ آتوس !!

وصرخ مسيو دى تريفى :

ـ آتوس !!

فقـال آتوس وهو واقف مكانه بجانب البـاب لمسيو دى تريفى بصوت ضعيف ولكنه كامل الهدوء :

ـ لقد أرسلت لى يا سيدى ٠٠ هكذا أخبرنى زملائى ٠٠ ولقد أسرعت لأتلقى أوامرك ٠٠

وبعد أن انتهى من كلامه ، دخـل الفارس الى المكتب بخطوة بطيئة ، مرتديا زيه على أكمل وجه ٠ وقد تأثر مسيو دى تريفى بهذا الدليل على الشجاعة ، **فخطا نحوه وقال :**

ـ كنت على وشك أن أقول ، للسـادة ، أننى أمنع فرسانى أن يعرضوا حياتهم للتهلكة بشكل غير ضرورى ٠٠ فالرجال الشجعان أعزاء جدا لدى الملك ، وهو يعرف فرسانه ٠٠ أشجع أهل الأرض ٠٠ !

كانت الاثارة التى نتجت عن وصول آتوس قوية ، حتى تجمع حشد خارج الباب نصف المفتوح ٠ ورغم أن جرحه معروف لجميع الفرسان ، الا أنه ظل سرا على الآخرين ٠ وعند سماع هذه الكلمات الأخيرة للرئيس، لم يستطيعوا كبت همهماتهم المعبرة عن رضـاهم ، وبدأت تظهر رؤوس عديدة من خلف الستارة ٠٠ وكان مسيو دى تريفى على وشك أن يكلمهم بشدة عن قلة النظام والفوضى ، عندما سقط آتوس مغمى عليه ٠

وصرخ مسيو دى تريفى :

ـ طبيب ! طبيبى ! طبيب الملك ! أفضل طبيب يمكن الحصول عليه !



آتوس وبورتس وارامیس

واندفع عدد من الفرسان عند سماعهم الصياح الى المكتب ، وتجمهروا حول الرجل الجريح • ولحسن الحظ تصادف أن كان الطبيب موجودا بالمبنى ، فاندفع من بين الحشد وطلب حمل الفارس الى غرفة أخرى ، ففتح مسيو دى تريفى بابا جانبيا ، وأفسح الطريق لبورتس وأراميس اللذين حملا رفيقهما فورا •

وعاد بورتس وأراميس فى الحال تاركين الطبيب ومسيو دي تريفى وحدهما مع آتوس •

وبعد برهة وجيزة ، عاد مسيو دى تريفى وأبلغ الجميع بنفسه بأن حالة الفارس ليس فيها ما يسبب الانزعاج ، وأن ضعفه ببساطة كان بسبب فقدانه للدم•

وعندئذ أشار مسيو دى تريفى بيـــده ، فترك الجميع المكتب فيما عدا دارتنيان ، الذى لم ينس انه تم استقباله رسميا ، فظل مكانه هكذا فى تصـــميم واصرار جاسكونى •• !!

الفصل السابع

دارتنيان يتلقى نصيحة حكيمة ، ولكنه يعيرها قليلا من الانتباه

عندما غادر الجميع ، وأغلق الباب ، التفت مسيو دى تريفى فوجد نفسه بمفرده مع الفتى الصغير ، **فقال له مبتسما :**

– معذرة ، معذرة ، لقد نسيتك تماما . ولكن ماذا يمكنني أن أفعل ؟ .. فالرئيس أكثر من أب لأسرة ، بل هو محمل بمسئوليات أعظم من رب أسرة عادية !

فابتسم دارتنيان ، وحكم مسيو دى تريفى بهذه

الابتسامة ان زائره ليس بأحمق · وهكذا غير مجرى الحديث ، وجاء للب موضوعه ، وقال :

ـ اننى أحترم والدك جدا ·· ماذا يمكننى أن أقوم به من أجل ابنه ؟ ·· أرجوك ، كن سريعا ، فوقتى ليس ملكى !

فقال دارتنيان :

ـ لقد جئت وفى نيتى طلب زى الفرسان ، ولكن بعد كل ما رأيته هذا الصباح أخشى ألا استحق ذلك الامتياز ·

فاجاب مسيو دى تريفى :

ـ حسن يابنى ، انه امتياز فى الحقيقة ، ولكنه قد لا يكون بعيدا عن آمالك ان كنت تؤمن به · وقرار جلالته ضرورى دائما بالطبع ، ولكن يجب أن تظهر جدارتك فى معارك عديدة أولا · أو بعد الخدمة لمدة سنتين فى فرقة ما أقل تشريفا من فرقتنا ·



لقد جئت الى هنا وفى نيتى طلب زى الفارس

واستمر قائلا :

ـ ولكن من أجل رفيقى القديم والدك ، سأفعل شيئا من أجلك ٠٠ اعتقد أنك لم تجلب نقودا كافيـة معك ؟

فتراجع دارتنيان منتصبا باعتزاز وقال مزهوا :
ـ اننى لا أطلب صدقات من أحد !

ـ أوه ، انه شيء حسن يابنى ، انه شيء حسن ٠ اننى أعرف هذه الخصال الجاسكونية ٠٠ لقد أتيت أنا نفسى الى باريس ومعى أربعـة كرونات فى محفظتى ، وكنت مستعدا لمقاتلة أى شخص يجرؤ بأن يقترح أننى لست فى وضع يؤهلنى لشراء اللوفر (*) ٠

(★) اللوفر : قصر سابق لملوك فرنسا فى باريس ، وأصبح الجزء الأكبر منه ، منذ الثورة الفرنسية ، المتحف الوطنى وصـالة عرض الفنون ٠

واستمر قائلا :

– يجب أن تكون حريصا على نقودك ، مهما كان المبلغ كبيرا • سأكتب رسالة لمدير الأكاديمية الملكية ، وسيقبلك غدا بدون أية مصاريف تتحملها • لاترفض هذه الخدمة البسيطة ، فكثيرا ما يطلبها سادتنا الأغنياء ونبـلاء المحتـد ولايستطيعون نوالهـا •• وستتعلم الفروسـية وفن المبارزة ، وكيف تشـق طريقك فى المجتمع ، وستتعرف أيضـا على أناس مرغوب فيهم ، وستأتى لتراني من وقت لآخر ، لتخبرنى كيف تسير أحوالك ، ولتخبرنى ان كنت أسـتطيع أن أكون أكثر فائدة لك •

فقال دارتنيان :

– مع الأسف ياسيدى ، يصعب على القول بأننى حزين لأننى فقدت رسالة التوصية التى أعطاها لى والدى لأقدمها لك •

فاجاب مسيو دى تريفى :

– لقد اندهشت بالتأكيد ، انك تجشمت هذه

الرحلة الطويلة بدون مثل هذه الرسالة الضرورية لنا نحن الجاسكونيين المساكين ·

ـ كانت معى واحدة ياســـيدى ، لكنها سرقت منى !

وقص دارتنيان عندئذ حـادثة ميونج ، ووصف السيد المجهول بحـرارة ومصداقيـــة أسرت مسيو دى تريفى ·

ـ تقول انك ذكرت اسمى ؟

ـ أجل يا ســـيدى ، لقد اقترفت هذا الخطـأ بالتأكيد ، ولكن كان يجب أن أفعل ذلك ، فاسـم مثل اسمك كان حماية لى فى طريقى ·

فقال مسيو دى تريفى :

ـ اخبرنى ، هل لهذا الســيد ندبة خفيفة على خده ؟

ـ أجـــل ·

– هل كان رجلا ليس جميل المنظر ؟

– أجـــل ٠

– طويل جدا ؟

– أجـل ٠

– له ملامح شاحبة ، وشعر بنى ؟

– أجل ، أجل ، انه هو ٠ كيف ياسيدى تعرف هذا الرجل ؟ اذا حدث وعثرت عليه ثانية ، سوف ٠٠ أقسم ٠٠

وقال مسيو دى تريفى قائلا :

– هل كان منتظرا سيدة ؟!

– أجل ، ومضى فور انتهائه من محادثتها ٠

– هل تعرف موضوع حديثهما ؟!

– لقد أعطى لها صندوقا . وأبلغها أنه يحتوى على تعليمات لها ، وعليها ألا تفتحه حتى تصل انجلترا٠

ـ هل كانت امرأة انجليزية ؟

ـ كان يناديها بميليدى ·

فتمتم مسيو دى تريفى :

ـ انه هو ، لابد ·· كنت أعتقد أنه مازال فى بلجيكا !

فصاح دارتنيان :

ـ أوه ، سيدى ، اذا كنت تعـرف من هو هذا الرجـــل ، فأخبرنى ، فاننى قبل كل شىء أتمنى أن أعاقبه ·

فقال مسيو دى تريفى :

ـ كن حذرا يابنى ، اذا رأيته آتيا فى جانب من الطريق فاسلك الجانب الآخـر · فلا ترم نفسك فى التهلكة !!

فأجاب دارتنيان :

ـ ان فكرة قوته لن توقفنى اذا حدث وعثرت عليه·

فقال مسيو دى تريفى بحزم :

– خذ نصـيحتى ولا تبحث عنـه فى الوقت الراهن !

واستمر مسيو دى تريفى قائلا :

– والآن يابنى ‥ سيبقى مكتبى مفتوحا لك دائما ، ويمكنك أن تسأل عنى فى جميع الأوقات ‥ واستفد بكل الفرص المتاحة لك والتى ترغبها !

فقال دارتنيان :

– أو بالأحرى سـوف تنتظر حتى أثبت بأننى جدير بها !

ثم انحنى لكى ينسحب ٠ **فقال مسيو دى تريفى:**

– انتظـر لحظة ، لقد وعدتك برسـالة لمدير الأكاديمية الملكية ٠ هل اعتزازك بنفسك يمنعك من قبولها يافتى ؟

فقال دارتنيان :

ـ كلا يا سيدى ، وأعدك بأنها لن تسرق مثل الأخرى !

فابتسم مسيو دى تريفى على هذه الثقة بالنفس ، وتركه عند النافذة حيث كانا يتحدثان ، وجلس على المنضدة ليكتب رسالة التوصية ٠

لم يكن أمام دارتنيان وظيفة أفضـــل من ذلك ، وتطلع من النافذة على الفرســـان الغادين والرائحين فى الشارع ٠٠

ونهض مسيو دى تريفى ، بعد ما كتب الرسالة وختمها ، واقترب من الفتى ليعطيها له ٠ ولكن مسيو دى تريفى اندهش فى اللحظة التى مد فيها دارتنيان يده ليستلم الرسالة حين رآه يقفز فجأة ، ويحمر وجهــه من الغضب ، ويندفع من المكتب صارخا :

ـ آه ! لن يهرب منى هذه المرة !

فسأل مسيو دى تريفى :

- من ؟!

فصرخ دارتنيان :

- انه اللص . آه ! الوغد !!



الفصل الثامن

كتف أتوس وشريط كتف بورتس

واندفع دارتنيان في حالة هياج نحو السلالم آملا أن ينزلها كل أربع في قفزة واحدة ، ولسوء الحظ اصطدم وهو مسرع في فارس كان خارجا في احدى غرف مسيو دى تريفى الخاصة ، فارتطم بكتفه بعنف ، تسبب في أن يصدر صرخة عالية • فقال دارتنيان محاولا أن يستمر في طريقه :

– معذرة ، معذرة ، لكنى فى عجلة من أمرى •

وما كاد ينزل السلمة الأولى الا وقبضت عليه من

حزامه يد من حديد وأوقفته . **وقال الفارس** وهو فى لون الورقة البيضاء :

ــ وهكذا أنت فى عجلة من أمرك ! تقول معذرة وتعتقد أن هذا يكفى ؟ كلا يا فتى .. هل تتخيل . لأنك سمعت مسيو دى تريفى يكلمنا بخشونة اليوم أن يعاملنا الآخرون كما يتكلم هو معنا ؟ لا تخلط . فانك لست مسيو دى تريفى !

فأجاب دارتنيان متعرفا على أتوس الذى ضمد الطبيب جرحه لتوه :

ــ بشرفى ! بشرفى ! لم أفعل ذلك عن عمد ، ولأنى لم أفعلها عن عمد قلت معذرة ، ويبدو لى أن ذلك يكفى .. ارفع يدك عن حزامى ، ودعنى أذهب حيث عملى يتطلبنى .

فقال أتوس تاركا الحزام :

ــ سيدى ، انك لست مؤدبا ، ومن السهل معرفة أنك قادم من الريف ، وينقصك أخلاق المدينة الطيبة .

كان دارتنيان قد نزل ثلاث أو أربع درجات ، ولكنه توقف عند تعليق آتوس الأخير ، **وقال :**

– **يا** للسماء ! مهما كان المكان الذى **جئت منه** بعيدا ، فلست أنت الذى يمكنك أن تعطينى درسا فى الأخلاق الطيبة ، أحذرك !!

فقال آتوس :

– ربما :

فقال دارتنيان :

– آه ! لو لم أكن فى عجلة من أمرى ، ولو لم أكن أجرى وراء هذا الشخص ·

– **يا** من فى عجلة من أمره ، يمكنك أن تجدنى **بدون أن** تركض ورائى ·· هل تفهم ؟

– **وأين ؟**

– قرب الدير خلف اللوكسمبورج (*) ·

(★) قصر فى باريس مشهور بحدائقه ·

ـ في أي وقت ؟

ـ ظهرا .

ـ فليكن ، سأكون هناك .

حاول ألا تدعني أنتظر ، لأنني عند الثانية عشر والربع سأقطع أذنيك وانت تركض .

فصاح دارتنيان :

ـ حسن ! سأكون هناك .

واندفع نازلا درجات السلم ، آملا أن يجد المجهول الذى لن تأخذه خطواته البطيئة بعيدا .

ولسوء حظ الفتى الذى فى عجلة من أمره ، ان بورتس كان يتكلم مع أحد الجنود بمدخل الشارع . وكانت بين الاثنين مسافة تسمح لشخص أن يمر ، ولم يتردد دارتنيان بطبيعة الحال، أن يمر بسرعة من بينهما ، وبينما هو يفعل ذلك أطار النسيم بعباءة بورتس المخمليه الطويلة ، وبدلا من أن يكسب دارتنيان الحرية لاجتياز

الطريق ، وجد نفسه مشتبكا مع الطيات الطويلة للرداء ، وكان بورتس ممسكا بحافة عباءته فى يده ، ولأسباب يعرفها هو جيدا ، لم يفلتها ، وقبض عليها بحزم وشدها عليه بحدة ، فكان نتيجة لسحبه الفجائى هذا أن لف دارتنيان وتم تطويقه فى المخمل المشتبك به وبشكل ميئوس منه ٠

وأخذ بورتس يقسم بغضب ، رغم أنه ما زال يقبض على العباءة بشدة ، بينما يتلمس الفتى الجاسكونى طريقه من بين الثنايا محاولا أن يحرر نفسه ٠

وتذكر دارتنيان شريط الكتف الرائع ، وكان قلقا بصفة خاصة خوفا أن يتلف بهاء بريق الذهب ، ولكن كانت تنتظره مفاجأة ، فعندما فتح عينيه ، وجد نفسه ينظر الى نقطة بين كتفى بورتس وكان الشريط على بعد بوصتين من أنفه ٠

واحسرتاه ! فالشريط الذى يسطع بالذهب من الأمام ، ما كان لا جلدا صرفا من الخلف ٠ فبورتس المختال بالعظمة لا يقدر على شراء شريط كتف موشى

كلية بالذهب ، والذى لديه كان عبارة عن نصف شريط من الأمام ليريه لعالم معجب ، كما كان يبدى تظاهره بالبرد بافتراض ضرورة العباءة ·

وقام بورتس ، وهو فى غضبه المخيف ، بالتحرك مندفعا خلف دارتنيان الذى أسرع راكضا ·

فصرخ الأخير قائلا :

الآن ! الآن ! وانت لم ترتد عباءتك بعد ·

ـ اذن ،عند الساعة الواحدة خلف اللوكسمبرج·

فصاح دارتنيان وهو يلف حول ملتقى الشارعين :

ـ حسن جدا ، عند الساعة الواحدة ·

ومع ذلك ، لم يستطع أن يرى المجهول فى أى اتجاه ، واستفسر دارتنيان من كل شخص ، ولكن بلا جدوى ·

الفصـــل التاسع

منديل أراميس

تأمل دارتنيان فى احداث الصـــباح ، اذ كانت الساعة لم تبلغ التاسعة بعد ، ومع ذلك اصبح فى وضع مخز مع مسيودى تريفى الذى لابد أنه قد يعتبر تصرفه غير لائق ، وبالاضافة الى ذلك قد زج بنفسه فى مبارزتين مع رجلين ، كل منهما قادر على قتل ثلاثة دارتنيان ، فلقد تعهد بقتال فارسين ‥ اثنين من هـــؤلاء الذين يعتبرهم ذوى مرتبة عليا ، حيث يضعهم هو حســب تقديره فوق جميع الرجال الآخـرين ، فكان مظهـــره الخارجي نفيسا ‥ بالتأكيد ســـيقتله آتوس ، ومن

الواضح انه لم يزعج نفسه كثيرا بخصوص بورتس ، ومع ذلك فالأمل هو آخر شيء ينطفىء فى قلب الانسان ٠٠ ولذلك لم يكن دارتنيان خاليا من بعض الأمل فى أن يجتاز كلا من هاتين المبارزتين حيا حتى ولو بجروح فظيعة !

وقال لنفسه :

ـ صديقى دارتنيان ، اذا كتبت لك النجاة ، فأنصحك أن تتدرب على آداب الكياسة فى المستقبل ، فليس من الضرورى أن يكون الانسان ملتزما ومؤدبا وأن يكون بالتالى شخصا جبانا ٠

وبهذه الطريقة كان دارتنيان يسير ببطء عندما لاحظ أراميس يخاطب ثلاثة من سادة حرس الملك بمرح ، كما لاحظ أراميس أيضا دارتنيان ، لم ينس أن هذا الفتى قد سمع مسيو دى تريفى وهو يعنفه هذا الصباح ٠ ففكر دارتنيان في أن تكون خطته متروية ومؤدبة ، فاقترب من السيد بانحناءة عميقة وبأكرم ابتسامة لديه ٠ فأحنى أراميس رأسه قليلا فى المقابل ، ولكنه لم يبتسم ٠

كف الأربعـــة عن محادثتهم فى الحال ، ففهم دارتنيان أنه شخص غير مرغوب فيه · وحيث انه لا يتقن الطرق السائدة فى العالم ، وليس بارعا فيها ، فأخذ يبحث فى عقله عن أقل الطرق حرجا فى الانسحاب ·· وعندئذ لاحظ أن أراميس قد سقط منه منديـــل ووضع قدمه عليه دون أن يدرى · فظهرت هنا فرصـة لاختلاق عذر لتطفله على محادثتهم ، فانحنى وســحب المنديل من تحت قدم الفارس ، رغم الجهود التى بدت على الأخير أنه يبذلها لابقاءه فى محنه ، **وقال وهـــو يناوله لأراميس :**

ـ أعتقد يا سيدى أن هذا المنديل لا تحـب أن تفقده ·

كان المنديل ، فى حقيقة الأمر ، مطرزا بأناقة ، وفى أحد اركانه الأحرف الاولى لاسم ما ·· واحمـــر وجه أراميس خجلا ، ولم يأخـــذ المنـــديل من الفتى الجاسكونى ، بل انتزعه **وصاح أحد رجال الحرس :**

ـ آه ! هل تواصل بعناد القول بأنك لســـت

بصديق حميم لمدام دى بوا – تراسى بينما تعيرك هذه السيدة اللطيفة الكريمة أحد مناديلها ؟

فألقى أراميس بنظرة سوداء الى دارتنيان ، لكنه تمالك نفسه بسرعة **وقال بطريقته الهادئة العادية :**

ـ انك مخطىء يا سيد ، فهذا المنديل ليس لى ، ولا يمكننى أن أتصور لماذا قدمه لى هذا السيد بدون ترو ، لا لأحد منكم ، ولكى أبرهن لكم فها هو منديلى فى جيبى !

وعند قوله ذلك ، سحب منديله الخاص ، وكان منديلا من قماش رقيق أيضا ، ولكنه بدون تطريز ، وبلا حروف أولية · وفى هذه المرة لم يتسرع دارتنيان **وقال :**

ـ فى الحقيقة اننى لم أر المنديل يسقط بالفعل من جيب مسيو أراميس ، انما كانت قدمه عليـــه ، وهكذا اعتقدت أنه له ·

فأجاب أراميس ببرود :

ـ وبالطبع انت مخطىء ·

ثم استدار الى واحد من رجال الحرس الذى يعرف أنه صديق لمدام دى بوا ـ تراس وأردف **قائلا :**

ـ علاوة على ذلك ، فأنت يا مونتران صـــديق حميم لمدام دى بوا ـ تراس أيضا ، وقد يسقط المنديل من جيبك كما يسقط من جيبى ٠

فصاح رجل الحرس :

ـ كلا ، بشرفى !

ـ أنت تقسم بشرفك وأنا أيضا ٠ وهكذا لابد أن احدنا يكذب ٠ ولذا ، يا منتران سنقوم هنا شىء أفضل ٠ دع كلا منا يأخذ النصف ٠

ـ من المنديل !

ـ أجل ٠

فصاح رجال الحرس الآخرون :

ـ تماما هذا هو العدل ٠٠ حكم الملك سليمان ! أراميس ٠٠ انك كلك حكمة بالتأكيد !!

وانفجر الشاب فى الضحك ، وهكذا كانت نهـــاية موضوع المنديل ٠

وفى لحظة أو اثنتين صافح الاصدقاء الأربعـــة بعضهم البعض باليد وتفرقوا ، وذهب الثلاثة فى طريق وأراميس فى طريق آخر ٠

وكان دارتنيان ينتحى جانبا أثناء الجزء الأخـير من المحادثة ، وعندما رأى أراميس يغادر دون أن يعـره أن انتباه ، **فاقترب منه وقال :**

ــ سيدى ، آمل أنك ستعذرنى !

فقاطعه أراميس بحدة :

ــ آه ، سيدى ! اســـمح لى أن أبين لك بانك لم تتصرف تصرف شخص حسن التربية ٠

فصرخ دارتنيان :

ــ ماذا يا سيدى ! هل تفترض ٠٠ ؟

– افترض انك لست أحمق ! رغم انك قادم من جاسكونيا · تعلم جيدا أن الناس لا يطأون المناديـل بأرجلهم بدون أسباب ·

فقال دارتنيان التى بدأت طبيعته المشاكسـة تتحكم فى شعوره :

– سيدى ، انك غير منصف ، أنا من جاسكونيا ، حقا ، وحيث انك عرفت ذلك ، فلا داعـى لاذكرك ان الجاسكونيين ليسوا صبورين جدا · وعندما يطلبـون المعذرة ، حتى ولو من أجل تصرف احمق ، فهم يعرفون بأنهم قاموا بأكثر مما يجب أن يقوموا به ·

فقال أراميس :

– سيدى ، اننى لا أبحث عن مشاجرة ، لاننى لست متبجحا ، فانا فارس لفترة مؤقتة ، ولا اقاتل الا اذا اضطررت لذلك ، وفى هذه المرة فالموضوع خطير، لانك عرضت شرف سيدة للخطر !

فصاح دارتنيان :

– كلا ! ·· ماذا تقصد ؟!

ـ لماذا أعدت المنديل لى ؟ وبكل حماقة ؟

ـ ولماذا تركته يسقط ؟ وبكل حماقة ؟

ـ آه ! يبدو أنه لا مفر من أن ألقنك درسا !

ـ وأنا سأرسلك ثانية الى دراساتك ، يا كاهـن المستقبل .. هيا اسحب سيفك . اسحبه من فضلك، وفي الحال !

ـ ليس هكذا .. ليس هنا على الاقل .. أود أن أقتلك فى مكان هادىء . سأكون مسرورا لقدومك عند مكتب مسيودى تريفى الساعة الثانيـــة . وهنـــاك سأخبرك بأفضل مكان وزمان .

وانحنى الشابان وتفرقا . ورأى دارتنيان الساعة تقترب من الثانية عشرة ، فأسرع نحو الجانب الخلفى للوكسمبرج ، **وأخذ يفكر :**

ـ لا مفر الآن ، بلا ريب .. ولكن ، اذا قتلت ، فسأقتل على يد فارس على الأقل !

الفصل العاشر

الساعة الثانية عشرة خلف اللوكسمبرج

وذهب دارتنيان الى موعـــده مع آتوس دون أن يصطحب معه أحدا ، حيث انه لا يعـــرف أحـــدا فى باريس ٠

وكما نعرف الآن ، لم يكن الفتى الجاسكونى رجلا عاديا ، لذلك عندما كان يقول لنفسه انه يجب أن يموت بكل تأكيد ، لم يكن يعقد العزم على أن يموت بهدوء كما يفعل شخص عادى أقل شجاعة . متذكرا نصيحة أبيه « لا تقبل النقد من أحد ما عـــدا الملك والكاردينال » ، وبدلا من أن يمشى ، ركض نحو الدير خلف اللوكسمبرج٠

كانت الساعة الثانية عشرة عندما وصـــــل الى مشارف مكان اللقاء · وكان آتوس فى انتظاره منــــذ خمس دقائق ، جالسا على جذع شجرة ساقطة ، فهـو مازال يقاسى من جرحه ، ونهض عندما رأى دارتنيان، وخطى بضع خطوات بأدب لملاقاته ·· فخلع دارتنيان قبعته ، وانحنى تماما ·

وقال آتوس :

ـ سيدى ، لقـد عينت اثنين من أصـــدقائى كشهود ، ولكن ، على غير عادتهما ، ولدهشتى الكبيرة لم يأتيا بعد ·

فقال دارتنيان :

ـ أما من ناحيتى يا سيدى ، فليس لدى شهود، حيث لا أعرف أحدا فى باريس بعد ، غير مســيو دى تريفى الذى وصاه أبى على ·

فقال آتوس :

ـ بعد اذنك ، سننتظر قدوم هذين السيدين ،

فلدى وقت كاف . وسيكون ذلك أقرب للصواب ..
آه ! ها هو أحدهما ، على ما أعتقد !

وفى الحقيقة ، ظهر شبح بورتس الضـــخم ،
فصرخ دارتنيان :

ـ ماذا ! هل صـــديقك الأول هو مســـيو
بورتس ؟

ـ أجل ، وهل يضايقك هذا ؟

ـ أبدا ، على الاطلاق !

ـ وها هو الآخر .

فالتفت دارتنيان فى الاتجاه الذى أشار اليـــه
آتوس فرأى أراميس .

فصرخ فى اندهاش أعظم :

ـ ماذا ! هل صديقك الثانى مسيو أراميس ؟

ـ بالتأكيد ! فنحن مع بعض دائما ، ألا تعرف

بأننا مشهورين بالثلاثة المتلازمين بين الفرسان ، وعند رجال الحرس ، وفى البلاط ، وفى المدينة ٠٠ ؟!

فأجابه دارتنيان :

ـ بشرفى ، لقد اشتهرتم أفضل شهرة ٠

ووصل بورتس اليهم فى هذه الاثناء ، فلوح الى آتوس بيـــــده ، ثم التفت نحو دارتنيان الذى وقف مندهشا لقد غير شريط كتفه المبهرج ، وتـرك عباءته الجميلة بالبيت ٠

وقال :

ـ آه ! ماذا يعنى ذلك ؟

فقال آتوس :

ـ هذا هو السيد الذى سأقاتله ٠

ـ فقال بورتس :

ـ لماذا ، اننى سأقاتله أنا أيضا !

فقال دارتنيان :

– لكن ، ليس قبل الساعة الواحدة !

وقال أراميس الذى وصل لتوه بجانبهم :

– وأنا ايضا سأقاتل هذا السيد !!

فقال دارتنيان بنفس الهدوء :

– لكن ، ليس حتى الساعة الثانية !

فقال أراميس :

– عن ماذا ستقاتل يا آتوس ؟

– قسما بشرفى ، لا أعرف تماما ٠٠ لقد أوجع لى كتفى ٠٠ وانت يا بورتس ؟!

فقال بورتس ووجهه يحمر :

– سأقاتل – لأننى سأقاتل !

ولاحظ آتوس ، الذى لا تضيع عيناه شيئا ، ابتسامة خفيفة على وجه الفتى الجاسكونى عندما أجاب دارتنيان بدلا منه :

– لقد جرى بيننا نقاش عن الملبس ٠

ـ وانت يا اراميس ؟

فأعطى أراميس اشارة لدارتنيان أن يحفظ سر السبب الحقيقى للمبارزة ،

وأجاب :

ـ أوه ، لقد اختلفنا حول موضوع فى الدين !!

فقال دارتنيان :

ـ والآن يا سادة ، أرجو ان تسمحوا لى ، وأنتم هنا جميعا ، أن أقدم لكم اعتذارتى ·

فاجتازت سحابة جبين آتوس ، وظهرت ابتسامة احتقار على وجه بورتس ، كما أظهر أراميس استهجانه بوضوح ، عند كلمة « اعتذاراتى » ·

فرفع دارتنيان رأســـه الى أعلى باعتزاز **وأردف قائلا :**

ـ انكم لم تفهمونى جيدا يا سادة ، لقد طلبت أن تعذرونى فى حالة عدم تمكنى من مقاتلة ثلاثتكم ·

ثم سحب دارتنيان سيفه ، مع هذه الكلمات ، بكل روح باسلة . وسحب آتوس سيفه ، **وقال :**

– ان الجو حار جدا ، ومع ذلك فلن أستطيع أن اخلع سترتي ، فلقد شعرت بجرحي يدمى ثانية ، ولا يجب أن أزعج هذا السيد بمنظر الدم ، الذي لم يتسبب فيه .

فقال دارتنيان :

– لذلك سأقاتل بسترتي مثلك .

فصاح بورتس :

– هيا ! هيا ! وكفى اطراءات ، وتذكرا ، مـن فضلكما ، أننا ننتظر دورنا .

فقاطعه أراميس :

– تكلم عن نفسك ، ان ما يقولاه هو القـول السديد !

وما كاد السيفان يلتحمان ، الا وظهر عنـــد منعطف حائط الدير ، فريق من حرس الكاردينـــال تحت امرة مسيودى جوساك ٠

فصرخ أراميس وبورتس فى وقت واحد :

– حرس الكاردينال ٠٠ اغمـــدا ســـيفيكما بسرعة !!

الفصل الحادى عشر

دارتنيان يتخذ قرارا خطيرا

كان الوقت متأخرا بالنسبة لآتوس ودارتنيـان لكى يبعدا سيفيهما ، فلقــد تمت رؤيتهما واتضـح ما يقومان به ، **فصاح جوساك وهو يقترب مع رجاله :**

ـ هاللو ، أرى أنكما تتبارزان ، ويبدو أنكمـا نسيتما القانون !

فقال آتوس :

ـ انك لا تراعى مشاعر الآخــرين ، لو اننى شاهدتك تقاتل لما بذلت أى جهد فى التدخل ، **أتركنا** بمفردنا واذهب لحال سبيلك .

فقال جوساك وهو متأكد من نفسه :

ــ لا أستطيع ، يا سادة ، الســـــماح بانتهاك القانون حتى من قبل الفرسان · اغمدا ســـــيفيكما واتبعانا ·

فلم يقم الفرسان بأى حـــــركة ، **وتمتم آتوس قائلا :**

ــ انهم خمسة ونحن ثلاثة فقط ، وسنهزم ثانية· ولن أســـمح لنفسى أن أمتثل أمام الرئيس كشــخص منهزم !

ووقف آتوس وبورتس وأراميس متلاصقين سويا وشكل جوساك رجاله فى صف واحد مستعدا للهجوم عند الضرورة ·

واتخذ دارتنيان قراره فى اللحظة نفســـــها ·· انه أحد المواقف التى تقرر مصير الانسان · وكان الوضع بالنسبة له اختيار بين الملك والكاردنيــــــال ، **فقال ملتفتا نحو آتوس وأصدقائه :**

– اسمحوا لى أن أصحح لكم ، يا ســـادة ، لقد قلتم أنكم ثلاثة فقط ، ولكن يبدو لى أننا اربعة ٠

فقال بورتس :

– انك لست واحدا منا !

فأجاب دارتنيان منحنيا الى أسفل :

– اننى فارس بقلبى ٠٠ قد لا يكون لدى الزى، ولكن لدى الروح !

فصرخ جوساك مدركا نية دارتنيان من حركتـه، وتعبيرات وجهه :

– تنح يا فتى ، تنح فى الحال ٠ انقذ نفسك واذهب بسرعة ، فنحن نسمح لك بالانسحاب ٠

ولم يتحرك دارتنيان ، **وواصل آتوس قائلا :**

– يجب أن نكون ثلاثة فقط ، فواحد منا جريـح وباضافة الولد ، فسيقال أننا كنا اربعة رجال ٠

أدرك دارتنيان ريبتهم نحوه ، **فقال :**

- جربونى يا سادة ، وأؤكد لكم أننى لن أترك رجلا مهزوما !

فسأل آتوس :

- انك فتى شجاع ، ما اسمك ؟

- دارتنيان يا سيدى !

فصاح آتوس :

- حسن اذن ، بورتس ٠٠ أراميس ٠٠ دارتنيان ٠٠ فلنقاوم !!

فصرخ جوساك بغضب :

- هيا يا سادة ، هل قررتم ما ستفعلون ؟

فاجاب اراميس رافعا قبضة يده وساحبا سيفه بيده الأخرى :

- أجل ، سيكون لنا شرف منازلتكم ٠

فصرخ جوساك :

ـ آه ! أتقاومون اذن ؟

فاندفع رجال الحرس الخمسة نحو الفرسان الثلاثة ودراتنيان بعنف ·

كان القتال سريعا وعنيفا ولم يدم الا فترة قصيرة ، ولكن اكتشف دارتنيان بسرعة أنه ند لأى رجل من رجال الحرس · ولقى أحد رجال الحرس مصرعه بعد قليل ، وسقط بلا حراك ، وأصيب ثلاثة آخرون باصابات بالغة ، ولم يتمكنوا من الاستمرار فى القتال · أما رجل الحرس الذى بقى ، فقد قام بكسر سيفه على ركبته ، عندما رأى نفسه بمفرده ضد أربعة، ليتجنب الاجبار على تسليمه ·

والبسالة تحترم دائما حتى ولو كانت من العدو، لذا قام الفرسان بتحية رجل الحرس المتبقى برفع سيوفهم الى أعلى ثم أعادوها فى غمدها ، وقام دارتنيان بنفس الشىء ، ثم قاموا بحمل الرجال المصابين بمساعدة رجل الحرس الى باب الدير ودقوا الجرس ·

شق الأربعة المنتصرون طريقهم بقلوب مشرقة الى مركز رياسة مسيودى تريفى حاملين أربعة سيوف من خمسة · وكانوا يغنون وهم يسيرون ذراعا فى ذراع محتلين الشارع كله ، وكلما كان يقابلهم أحد الفرسان كان ينضم اليهم حتى أصبحت مسيرة نصر فى النهاية ، وامتلأ دارتنيان بالبهجة أثناء سيره بين آتوس وبورتس بافتخار ·

وقام مسيودى تريفى بتعنيف الفرسان الثلاثة على الملأ ، ومع ذلك هنأهم على انفراد لانتقامهم السريع والكامل من حرس الكاردينال ·

وســـمح لدارتنيان نتيجة لتصرفه أن يصاحب حرس الملك فى الحال للتدريب تحت امرة مســـيو ديزيسارت ، وهكذا وجد الجاسكونى الصغير نفســه تحت ظروف محببة أكثر مما كان يتخيل فى طريقــه ليصبح فارسا · علاوة على ذلك ، اصبح الآن الرفيق المفضل عند المتلازمين الثـــلاثة : آتوس وبورتس وأراميس . وقضى معهم جل وقته ·

الفصل الثانى عشر

ميليدى

وبعد حوالى شهرين . كان دارتنيان يسير ببطء مجتازا كنيسة سان لوى فى باريس ، وعندما لفتت انتباهه سيدة نازلة من سلالم الكنيسة ٠٠ انها لـم تكن صغيرة ورائعة الجمال فحسب ، بل كانت سيدة عظيمة بكل وضوح أيضا ، حيث كان يسير من خلفهـا اثنان من المرافقين ، وعندما التفتت لتعطى أمرا لأحد المرافقين ، قفز قلب دارتنيـان لأنه تعرف فيهـا على سيدة ميونج ٠٠ السيدة التى كان يناديها الرجل ذو الندبة باسم ميليدى ٠

ولحسن حظ دارتنيان انها لم تتعرف عليـه ، فاستطاع ان يتبعها دون أن تلاحظه ، وصعدت عربتها عند المنعطف ، وسمعها تأمر سائقها ان يأخذ طريقـه الى ســـان جيرمان ، وهو حى راق ملاصـق لباريس مباشرة ٠

لم يكن اهتمام دارتنيان العميق بميليدى بسبب جمالها الاخاذ الذى كان بكل تأكيد يأسره ، بل لانه كان يشعر بكل تأكيد أنها أحد جواسيس الكاردينال، وكان تواقا لكشف الغموض الذى يحيط بها ٠ عـــلاوة على أنها خاطبت من يعاديه ، الرجل ذا الندبة ، ولذلك فهى لابد تعرفه ، وبتتبعه لها ، فمن المحتمل أن يصل الى الرجل أو يكتشف شيئا عنه بطريقة أو بأخرى ٠

كان من الواضح عدم جدوى متابعة العربة عـلى الاقدام ، لذلك أسرع الى اسطبلات الحرس ، وحصل على حصان ، واتخذ طريقه هو أيضا الى سان جيرمان ٠

لم يطل بحثه عن العربة ، ورآها تقف بشارع جانبى هادىء وقريب منها سيد على ظهر جواد مرتديا ملابس فاخرة ٠

وكان السيد وميليدى منهمكين فى حديث مفعم بالحيوية ، فاقترب دارتنيان ، وتوقف عند الجانب الآخر من العربة ، لا يلاحظه أحد سوى وصيفة جميلة جالسة فى مواجهة سيدتها .

وكانا يتكلمان اللغة الانجليزية التى لا يفهمها دارتنيان جيدا ، ولكنه كان يستطيع ادراك أن السيدة الانجليزية الجميلة نبيلة المظهر فى غيظ عارم ، وفجأة توقفت عن الحديث ، وضربت السيد بمروحتها فى حنق ضربة قوية لدرجة أنها تكسرت الى قطع صغيرة .

وضحك السيد ، وأخذت ميليدى تلوى وتشد فى منديلها فى هياج عاجز ، وبدت هذه اللحظة لدارتنيان لحظة مناسبة جدا ليتدخل ، وهكذا خلع قبعته وانحنى وقال :

– مدام ، هل تسمحى لى أن أقدم لك خدماتى ؟ يبدو لى أن هذا السيد يضايقك . ما عليك الا أن تأمرى يا مدام ، وسأعاقبه لقلة أدبه !

التفتت ميليدى فى اندهاش عند سماعها هـذه الكلمات ، ورمت الفتى بنظرة من عينيها الساحرتين ، أجابت باللغة الفرنسية بهدوء :

ـ سيدى ، بالتأكيد كنت سأضـــع نفسى تحت حمايتك ، اذا لم يكن الشخص الذى أتشاجر معه هـو أخى .

فقال دارتنيان :

ـ أوه ! آمل أن تعذرينى . لم أكن أعرف ذلك يا مدام .

فسأل السيد وهو ينحنى على نافذة العربة :

ـ ماذا يريد هذا الغبى ؟ لماذا لا يذهب لحال سبيله ؟

فصاح دارتنيان منحنيا أيضا ومجيبا من جانبـه خلال نافذة العربة :

ـ الغبى هو أنت !

فتفوه الراكب ، عندئذ ، بكلمات قليلة لأختـــه بالللغة الانجليزية . **فقال دارتنيان :**

ـ كلمتك باللغة الفرنسية ، فلماذا لا تجاوبنى باللغة نفسها ؟ قد تكون أخ المدام ، ولكن من حسن الحظ أنك لست أخى !

كان على ميليدى محاولة ايقاف الشجار اعتقادا بأنها وجلة كالنساء بطبيعة الحال ، ولكنها على العكس، اضطجعت فى عربتها وأبلغت سائقها بهدوء أن يعود بها الى باريس .

كان من الواضح انبهار الوصيفة الجميلة بمظهر دارتنيان الطيب ، اذ لم ترفع عينيها من عليه ، وبدت على وجهها نظرة قلقة عندما بدأت العربة تتحرك تاركة الرجلين وجها لوجه .

وقام أخ ميليدى بحركة على أنه يتبع العربة ، ولكن أوقفه دارتنيان ، **وقال :**

ـ يبدو لى يا سـيدى ، آنك أغبى منى ، حيث انك نسيت أننا يجب أن ننهى النزاع البسـيط الذى بيننا ٠

فقال الرجل الانجليزى :

ـ هل ترغب فى استغلال ميزة رجل غير مسلح؟ أنت ترى بوضوح أننى لا أحمل سيفا !

ـ آمل أن يكون لديك سيف بالمنزل ، واذا لم يكن ، فلدى اثنان ، وسأعيرك واحدا ٠

فقال الرجل الانجليزى :

ـ لا داعى ، فأنا مستعد بمثل هـــذه اللعب ٠ ولدى سيوف عدة !

فاجاب دارتنيان :

ـ حسن جدا يا سيدى ، التقط سيفا منها وتعال لتريه لى هذا المساء ٠

ـ أين ؟

ـ خلف اللوكسمبرج ، هناك مكان رائع للعب بجانب الدير ، وسأعلمك كيف تلعب ٠

ـ ممتاز ، سأكون هناك !

ـ في أى وقت ؟

ـ الساعة السادسة ، وعليك بصديق أو اثنين ٠

ـ لدى ثلاثة يرحبون بمشاركة اللعبة معى ٠

فقال الرجل الانجليزى :

ـ ثلاثة ؟ ممتاز ! فالثلاثة هو رقمى المفضل ٠٠ على فكرة من أنت ؟

ـ أنا مسيو دارتنيان ، سيد جاسكونى وخادم فى الحرس الملكى ، وأنت ؟

ـ لورد ونتر ، بارون شفيلد !

فقال دارتنيان مديرا حصانه ليركض عائدا الى باريس :

ـ حسن جدا ، اذن الى اللقاء هذا المساء الساعة السادسة ٠

وذهب مباشرة كالمعتاد فى مثل هذه الحالات الى مسكن آتوس وقص عليه كل ماقد حدث ، وأرسل الاثنان برجالهما الى بورتس وأراميس فى الحال ، وعندما وصلا أخبروهما باللقاء المعد ذلك المساء خلف اللكسمبورج ٠

وسحب بورتس سيفه ولوحه فى الهواء ، متفاخرا بما سيفعله فى خصمه ٠ أما أراميس فذهب بهدوء الى غرفة أخرى لينهى قصيدة كان يعمل فى نظمها ، وطلب منهم ألا يزعجوه حتى يأتى موعد المبارزة ٠

وأشار آتوس لرجله جريمود ليحضر له زجاجة أخرى من النبيذ ٠ وانخرط دارتنيان فى التفكير فى تفاصيل خطة صغيرة ، سنقرأ عنها فيما بعد ٠

وبالحكم على الابتسامات التى مرت على وجهه من وقت لآخر ، نعلم أن الخطة بشرته بمغامرة ممتعة ٠

الفصل الثالث عشر

يحافظ آتوس على كلمته ، وينجح دارتنيان فى خطته

وقبل الساعة السادسة بقليل ركب دارتنيان مع أصدقائه الثلاثة ، يتبعهم خدمهم الأربعة ، وتوجهوا الى الساحة الواقعة خلف اللوكسمبرج ، وأمروا رجالهم بأن يراقبوا أى شىء يحدث ٠

وبعد دقائق قليلة ، وصلت عربة الى المدخل ، ونزل منها لورد ونتر وثلاثة رجال ، وساروا فى صمت حتى وصلوا الى دارتنيان والفرسان الثلاثة ، ثم قدم كل شخص نفسه حسب التقليد المتبع ٠

كان جميع رفاق لورد ونتر ذوى مراكز رفيعة ، لذلك لم تكن أسماء خصومهم الوهمية موضع اندهاش فقط بل مدعاة للتوجس أيضا ٠

فقال لورد ونتر :

ـ اننا لا نعرف حتى الآن من أنتم ، لا يمكننا ان نحارب ضد أناس بمثل هذه الأسماء ! لماذا ؟ لأنها أسماء لا أحد !

فقال آتوس :

ـ انها ، كما تدعى ، مجرد أسماء وهمية !

كان هذا حقا تماما ، فأسماؤهم الحقيقية لا يعرفها أحد ، حتى فيما بينهم ، ما عدا مسيو دى تريفى ٠

فأجاب اللورد :

ـ وهذا أيضا يعطينا رغبة أكبر فى أن نعرف الأسماء الحقيقية ، فالانسان يقامر ويلعب الورق مع أي أحد ، ولكنه لا يحارب الا أنداده ٠

فقال آتوس :

ـ وهو كذلك ٠

ثم أخـذ الرجل الذى سـيقاتله جانبا ، وأخبره باسـمه فى همس ، وفعل كل مـن بورتس وأراميس نفس الشىء ٠

وقال آتوس لغريمه :

ـ هل يرضيك هذا ؟ هل تجدنى فى مرتبة كافية لتمنحنى شرف ملاحمة السيوف معى ؟

فأجاب السيد منحنيا :

ـ أجـــل ٠

فأضاف آتوس ببرود :

ـ حسن ! والآن دعنى أخبرك بشىء آخر ٠ كان من الأحكم لك ألا تصر على معرفة اسمى ٠

ـ لمـــاذا ؟

ـ لأنني من المفروض أن أكون في عداد الأموات ، ولدى أسباب لا أرغب من أجلها أن يعلم احد انى ما زلت أحيا ، ولكى أحتفظ بسرى فانى مضطر لقتلك !

فحملق فيـه غريمه ، معتقدا انه يمـزح ، بينما آتوس لا يمزح ، فهو لم يمزح مطلقا ٠

ثـم قال آتوس بعـد لحظـة مخاطبـا رفاقه وخصومهم :

ـ يا سادة ٠٠ هل نحن مستعدون جميعا ؟

فجاءت الاجابة منهم جميعهم ٠ وكأنها صـوت واحـد :

ـ أجـل ٠

فصرخ آتوس :

ـ اذن ، انتبه !

وفى الحال أبرقت أسلحة السيوف الثمانية فى أشعة شمس آخـر النهار ٠ وأخذ آتوس يبارز بهدوء

وبشكل منهجي ، وكأنه يتدرب فى مدرسة للسلاح ٠٠ وبورتس يتباهى أقل من عادته ، ويقاتل ببراعة مشوبة بالحذر ٠٠ أما أراميس ، المشغول بمقطع ثالث من قصيدة عليه أن ينتهى منها ، كان واضحا أنه فى عجلة من أمره

وكان آتوس أول من تغلب على غريمه بطعنة نافذة فى قلبه ، وحافظ على كلمته ، وتلاه غريم بورتس الذى افترش العشب متمددا بفخذ مجروح ، ورفعه بورتس بذراعيه ، وحمله الى العربة المنتظرة ٠٠ وهاجم أراميس خصمه بشكل عنيف لدرجة أن الرجل استسلم منذ البداية ٠

أما دارتنيان فقد حارب بسلاسة متخذا الوضع الدفاعى حتى رأى لورد ونتر منهك القوى فقام عندئذ بالتواءة مباغتة من سلاحه أطاحت بسيف غريمه من يده ، فقام فخامته بمحاولة لاسترداد سيفه ، فزلقت قدمه وسقط على ظهره ٠

وفى لحظة كان دارتنيان يقف فوقه زاجا بسيفه نحو حلقه ، فجعل لورد ونتر تحت رحمته ٠٠ وهكذا حقق الجزء الأول من خطته التى فكر فيها من قبل ، **وقال له دارتنيان :**

ـ يمكننى قتنك ، ولكنى سأبقى على حياتك من أجل أختك ٠

فوقف لورد ونتر عـلى قدميه ببطء ، ثم انحنى اعترافا منه بتفوق دارتنيان ، والتفت الى الفرســان الثلاثة وأطراهم على براعتهم ٠

وقال لورد ونتر لدارتنيان :

ـ صديقى الشاب ، اذا سمحت لى أن أنادى عليك هكذا ، أحبـك أن تقابل أختى ، السيدة ونتر ، حتى تضيف شكرها لشكرى ٠

فاحمـر دارتنيان من البهجـة ، وأبدى موافقته بالانحناء الى أسفل بشدة ٠

وقبل مغادرته . أعطى لورد ونتر عنوان أخته لدارتنيان - رقم ٦ ميدان رويال - وهو حى راق جدا ، ووعده أن يمر عليه ذلك المساء ليأخذه الى هناك ، فحدد دارتنيان الساعة الثامنة بسكن آتوس .

وعاد دارتنيان مباشرة الى المنزل وارتدى أفضل زى لديه ، ثم أسرع الى آتوس وأبلغه بخططه بخصوص ميليدى .

وأنصت آتوس وهو يهز رأسه ببطء ، وينصحه بأن يكون حذرا جدا .

وقال دارتنيان وفى صوته نبرة حزن :

- ولكنى لم أقع فى حب ميليدى ، وهدفى الوحيد هو التعرف عليها واكتشاف الدور الذى تلعبه فى القصر .

- يا للسماء ! هذا ليس صعب التخمين ، بعد ما أخبرتنى به . فهى والرجل ذو الندبة اثنان من جواسيس الكاردينال بلا شك . كن حذرا والا ستسحبك فى شرك لن تستطيع الافلات منه !

ـ عزيزى آتوس ، انك تنظر دائما الى الجانب المظلم من الأشياء ٠

ـ اننىأسىء الظن بالنساء وخصوصا الشقراوات منهن ، وكيف لى أن أفكر غير ذلك وقد اشتريت خبرتى غاليا ، وعلى فكرة هل ميليدى شقراء ؟

ـ انهـا من أجمـل النسـاء اللاتى وقع بصرى عليهن ٠

ـ آه ! يا صديقى دارتنيان يا مسكين !

ـ اسمع يا آتوس ، انى أريد أن أكتشف شيئا فقط ، وعندما يتم لى ذلك فسوف لا تهمنى بعد ذلك ٠

فقال آتوس بحزن :

ـ افعل ما يحلو لك يا صديقى الصغير ، ولكن كن حذرا !!

الفصل الرابع عشر

ميليدى تستقبل دارتنيان

وفى تمـام السـاعة الثامنة مـر لورد ونتر على دارتنيان ليأخـذه لمقابلة ميليدى أختـه · وكان منزل ميليدى أفضل منزل فى الحى · لم يندهش دارتنيان عندما وجده مجهزا بأغلى الأثاث · كان معظم الانجليز يغادرون فرنسا فى ذلك الوقت على حساب أن الحرب وشيكة الوقوع بين انجلترا وفرنسـا ، أما ميليدى فكانت على العكس تجدد الأثاث الداخلى لمنزلها · وكان من الواضح عليها انه لا يوجد ما تخشاه من بقائها فى باريس ·

لاحظ دارتنيان هذه الحقيقة التى أدت الى تثبيت شكوكه بالغموض الذى يحيط بها ٠

وقال لورد ونتر لأخته :

ـ اسمحى لى أن أقدم لك فتى أمسك بحياتى فى يديه ، ولكنه لم يسىء استخدام هذه الميزة ٠ فلقد أبقى على حياتى رغم اننى تسببت فى اهانته ٠ والآن آمل أن تضيفى شكرك الى شكرى ٠

والتفت لورد ونتر عندئذ نحو الجرس ليطلب احضار نبيذ ، وهكذا لم يلحظ نظرة الضيق الخائرة التى مرت على وجه أخته ، ومع ذلك ، فعندما تكلمت لم يكن هناك أى أثر من تكدر النفس فى صوتها الحلو الناعم ، **فقالت :**

ـ أنا سعيدة بأن أرحب بك يا سيدى ، ويبدو أنك قد فزت بحقوق أبدية من عرفانى بالجميل !

ثم حكى أخوها قصة ما حدث بالتفصيل ٠٠ وأنصتت ميليدى بانتباه شديد ، ولكن كان واضحا



انا سعيدة بأن ارحب بك يا سيدي !

لدارتنيان أن القصـــة بعيدة عن أن تكون مستساغة لديها ، ولاحظ كيف تلوى منديلها وتشد فيه ، وتنقر بحذائها الصغير الأحمر مع الفضى على السجادة الناعمة بنفاد صبر ٠

ولم يلحظ لورد ونتر ذلك لأنه كان مشغولا بنبيذه على المنضدة الجانبية وهو يحكى قصته ، ولما ملأ كأسين دعى دارتنيان باشارة أن يشرب معه ٠ فذهب دارتنيان ليتناول كأسه من على المنضده ، واضعا فى اعتباره ، مع ذلك أن يحتفظ برؤية ميليدى من خلال مرآة حائط كبيرة ، فبدت عليها نظرة كراهية عنيفة ، معتقدة بأنه لا يلاحظها ، وأخذت تشد منديلها بأسنانها الجميلة ٠

وجاءت عندئذ الوصيفة الجميلة بمذكرة لفخامته، وتحدثت اليه ببضع كلمات باللغة الانجليزية ، ولما قرأ المذكرة استأذن راجيا ، حيث طلب لموعد هام ٠

وعندما التفت دارتنيان الى ميليدى تلاشت جميع آثار الغضب وكأنه سحر ، حتى أنه تساءل للحظة عن، أن تكون المـرأة قد خدعتـه ٠ وبعد ما غادر فخامته ،

أصبحت المحادثة ودودة تماما ، وعلم دارتنيان أن لورد ونتر ليس أخوها بل أخو زوجها · فلقد تزوجت أخاه الأصغر ، ولكنها أصبحت الآن أرملته ومعها طفل ، وكان ابنه وريث لورد ونتر الوحيد طالما أن لورد ونتر لم يتزوج ·

كان يشعر دارتنيان ، أثناء المحادثة أن ميليدى تخفى شيئا ، ولكن لا يدرى ما هو · واقتنع بالاضافة لذلك بأنها من أصل فرنسى وليست من أصل انجليزى كما كان يعتقد ، فهى تتكلم الفرنسية بيسر وطلاقة حتى لا يوجد مجال للشك ·

وفى الليلة الثالثة لهذا اللقاء زار دارتنيان ميليدى مرة ثانية ، وتم استقباله بشكل أكثر لطفا ، وبدا عليها أنها تهتم به وبمعيشته · ولم يفشل دارتنيان فى أن يمدح الكاردينال ، وقال انه بالتأكيد كان سيلتحق بحرس الكاردينال ، اذا لم يكن تقدم بتوصية لمسيو دى تريفى ·

وغيرت عندئذ ميليدى المحادثة وسألت ببراءة اذا كان دارتنيان قد ذهب الى انجلترا من قبل ·

فنكر دارتنيان فى نفسه :

ـ آه ! انها تعرف زيارتى السرية الى انجلترا عند لورد باكنجهام(*) ٠

فأجاب بصوت فيه مثل براءة صوت ميليدى بأن

(★) مجوهرات الملكة ٠ أعطى لويس الثالث عشر للملكة حلية ملابس جميلة مكونة من اثنتى عشرة قطعة من فصوص الماس ٠ وفى لحفلة ضعف أعطت الملكة هذه الحلى لعاشقها **دوق باكنجهام** كتذكار ورمز لشعورها نحوه ، وعندما سمع الكاردينال بذلك عن طريق جواسيسه رتب لاقامة حفلة عامة ، وحرض الملك أن يطلب من الملكة أن تلبس الماس على شرف المناسبة ٠ وكان أمل الملكة ضعيفا فى تنفيذ ذلك ، حيث أن الحلية الماسية فى حيازة الدوق الذى كان فى مكان ما بانجلترا ربما يصطاد فى وندسور ٠ وفى هذه الأثناء أرسـل الكاردينال السيدة ميليدى الى انجلترا لتسرق اثنين من الحلى المرصعة بالماس على أمل أن يكشف صداقة الملكة لباكنجهام ، وبفضل دارتنيان والفرسان الثلاثة فشلت مكيدة الكاردينال وتم انقاذ شرف الملكة ٠

مسيو دى تريفى قد أرسله الى انجلترا لشراء جياد ،
وقال لها أنه اشترى وعاد بأربع سلالات رائعة .

وعندما تحققت من أن دارتنيان يستطيع أن يلعب
بالكلمات كما يلعب بسيفه ، حولت ميليدى المحادثة الى
موضوعات أكثر أمانا .

الفصل الخامس عشر

يسمع دارتنيان كلمات غريبة مصادفة

وقع دارتنيان فى حب ميليدى ، بالرغـــم من نصيحة اتوس ، ولم يتوان عن زيارتهـــا كل مســـاء تقريبا . ولم يعد يعلن عن قدومه رســميا ، وأعطت ميليدى أوامرها بأن يسمح له فورا بالدخول الى غرفة جلوسها الخاصة فى أى وقت يأتى فيه .

لم يدرك تماما أن ميليدى كانت تلعب معه دورا ، الى أن سمع بالمصادفة حديثهـــا مع وصيفتهـــا كيتى بالحجرة المجاورة لحجــرة الجلوس حيث كان منتظرا دون علمها ، وكان الباب بين الحجرتين غير مغلق تماما ،

ولذلك تمكن من سماع ماقالتاه بشكل واضح ، فكانت ميليدى تقول :

ـ يبدو أن صديقنا الجاسكونى سيتأخر هذا المساء ·

فقالت كيتى :

ـ ماذا ! ميليدى ! هل بدأ يستهين بصداقتك حتى أصبح غير حريص على مواعيده ؟

ـ ربما واجباته قد منعته من الحضور ، لا بأس، اننى أعرف ياكيتى ما سأفعله معه ·

ـ لماذا يامدام ، ما اللعبة التى ستلعبينها ؟

ـ لك ان تسألى ، هناك شىء ما بينى وبين هذا الرجل يجهله هو · لقد حطمنى فى عينى الكاردينال تقريبا بخصوص مهمة مجوهرات الملكة · أوه ! سنرى! سيكون لى انتقامى !

ـ أوه ! ظننت انك تحبينه ·

— أحبه ؟ انني اكرهه ! الأحمق أمسك بحياة اللورد ونتر في يديه، ولم يقتله . وفقدت ، لعدم قيامه بذلك ، الاستفادة بميراث ثلاثمائة ألف جنيه سنويا

فقالت كيتي :

— هذا حقيقى ، طبعا ، لقد نسيت أن ابن سيدتى صاحبة العصمة هو الوريث الوحيد لعمه ، وحتى يصل السن سيتم التحكم فى أى ثروة يستحقها .

فقالت ميليدى فى صوت بارد قاس :

— أجل ، وكنت سأنتقم منذ مدة طويلة لولا أن الكاردينال أصر ان أكون على وفاق مع هذا الجاسكونى البغيض ، ولا أستطيع أن أفهم لماذا !

ارتعد دارتنيان ونزل السلم على أطراف أصابعه، وخرج من المنزل لكى يهدىء من ثورة غضبه .

وأسرع دارتنيان فى الصباح التالى باحثا عن آتوس وأبلغه بما قد سمع مصادفة .

فقال آتوس :

ـ صاحبتك ميليدى سيدة شريرة ، يبدو أن لديك عدوا فظيعا ٠

ونظر آتوس ، أثناء الحديث ، الى خاتم السفير فى أصبع دارتنيان وأردف قائلا :

ـ انه خاتم جميل ، انه يذكرنى بجوهرة عائلية كنت اقتنيتها ذات مرة ، هل بادلت به خاتمك الماس ؟

ـ كلا ، انه هدية من ميليدى ٠

فصرخ آتوس :

ـ ماذا ! هل جاءك هذا الخاتم من ميليدى ؟

وتفحص آتوس الخاتم وأصبح شاحبا وقال لنفسه :

ـ مستحيل ! لايمكن ! كيف يصل هذا الخاتم الى أن تقتنيه ميليدى ؟ بالاضافة الى أنه من الصعب افتراض تشابه جوهرتين بهذا الشكل !

فقال دارتنيان :

– هل تعرف هذا الخاتم ؟

فقال آتوس :

– ظننت ذلك ، ولكن لابـد أنني مخطىء ٠٠ أرجوك يا دارتنيان اما أن تخلعه أو تدير السفير الجهة الأخرى ، فالخاتم يعيدني لذكريات قاسـية ، ولكن انتظر ! دعني أفحص الحجر ، فالذي ذكرته لك كان به خدش على وجه منه ٠

فخلع دارتنيان الخاتم وناوله لآتوس ، ونظر اليه آتوس وبهت ، ثم قال مشيرا الى الخدش الذي ذكره :

– أنظر ٠ انه هو نفسـه ، كما أخبرتك انها جوهرة قديمة كانت ملكا للأسرة ولقد ورثتها عن أمي ٠

فاستفسر دارتنيان مترددا :

– وأنت ٠٠ هل بعتها ؟

فاجاب آتوس ببطء وهو مستغرق فى التفكير :

ـ كلا ٠٠ لقد أعطيته لمن كنت أحب ٠

وأخذ دارتنيان الخاتم ثانية ووضعه فى جيبه لا فى أصبعه ٠

فقال آتوس وهو يأخذ يد دارتنيان :

ـ دارتنيان ، أنت تعلم أننى أنظر اليك كابنى ، خذ نصيحتى وتجنب هذه المرأة ٠ اننى لا أعرفها ، لكن شيئا ما يقول لى انها يمكن أن تجلب كل الشر ،

فقال دارتنيان :

ـ انك على صواب ، سوف أتجنبها ، فليس بينى وبينها أى شىء ٠٠ ولكن لاتقلق لأننا سنغادر باريس بعد أيام قليلة لنأخذ دورنا فى حصار روشيل ٠

وبعد ما غادر دارتنيان ، جلس آتوس صامتا وسارحا بفكره فوق نبيذه ، وكانت أفكاره تشوشها ذكريات الماضى وتسترجع مناظر حاول كثيرا أن يكبتها وينساها ، ولكن بلا جدوى ٠٠

ورأى نفسه مرة أخـرى الكونت دى لافير ٠٠ شاب من نبلاء فرنسـا ، وهذا هو الاسـم الذى كان يحمله ٠ اسم قديم شريف المحتد ، وفى بلدته كان له سلطانه ، وكلمته كانت قانونا ٠

وتحتوى هذه الذكريات على منظر فتـــاة عذراء لطيفة جميلة كالملاك ، تبدو وكأنها تحمل معها نسمة ربيع ، جاءت مع أخيها الذى حصل على مركز فى كنيسة القرية الكائنة فى اقطاعية الكونت ، وبدت بريئـــة ورقيقـة ٠ وكان أخوها ورعـا يخشى الله ، حتى انه لم يسألهما أحد عند قدومهما أو يشك فى أنهما أى شىء آخر غير ما يظهران به ٠ وشاهد النبيل الفتاة كثيرا عند ركوبه عبر القرية وأخذ حب الشاب لآن الرقيقة ينمو يوما عن يوم ٠

أخذت مناظر الذكريات تتوالى فى الظهـور ٠٠ وهما يمشيان تحت أشجار الصنوبر حلوة الرائحة على طول الممرات التى تزكيها رائحة الزهور ٠٠ وبجانب غدير الماء البـــارد الرقراق ٠٠ وعند القنطرة الريفية

البسيطة التى اعتادا أن يحوما حولها فى الظلال الممتدة فى آخر النهار .. وهناك المنزل الصيفى عليل الهواء اللطيف والهادىء .. مســـتور معظمه تحت اللبلاب المتسلق .. هاهو يأخذها ، دون مقاومة ، بين ذراعيه ويقبلها .

وتزوجها الكونت الصغير ، رغم أنها ليست نبيلة المحتد ، ورغم اسـتهجان عائلته ، وهكذا أصـبحت السيدة الأولى فى المقاطعة .

واشتعل آتوس قلقا عندما خبا المنظر .. وظهرت الحادثة الرهيبة فى ميدان الصيد بتفصـــيل مفعم بالحيوية .. شاهد زوجته تسقط من على ظهر حصانها وتصطدم بالأرض وتغيب فى اغماءة تشبه الموت .. وشاهد نفسه يشق الجزء العلوى من ردائها فى خوف مرتعش ليعطيها مزيدا من الهواء لتتنفس .. وتتعرى بشرتها الحليبية الناعمة لكتفها لمن يرشقونها بعيونهم من المتزاحمين من حولها .. ويشاهد العلامة المروعة ،

علامة العار الأكبر ختم الجلاد العام بالوشم الحديدى(١) لفلير دى لى (٢) ٠

زوجته الكونتيسة دى لافير مجرمة ومدانة من قبل الدولة ٠ لطم هذا الاكتشاف كبرياءه لطمة رهيبة لم يفق منها مطلقا ٠٠ وغادر الكونت دى لافير فى تلك الليلة ، قصره الريفى ، بلا عودة !!

أما هى فاحتمال بقائهـا حية ، لأى سبب من الأسباب ، رغم افتراض موتها ، لايحيى أى احساس بالشفقة فى قلب آتوس ، ولم يلطف الزمن من اللطمة

---

(١) الوشم بالكى بحديد ساخن ، كما يفعلون حاليا بالماشية للاستدلال على مالكها ٠ كان فى وقت ما عقوبة ينزلونها باللصوص وبعض المجرمين وتنفذ على الخد والجبهة وكف اليد ٠ وفى زمن القصة كانوا ينفذونها فى فرنسا على الكتف ٠

(٢) فليردى‌لى ومعناها زهرة السوسن = تصميم زخرفى لثلاث زهرات من السوسن وهو يرمز لشعار الملكية الفرنسـية ، وكان يستخدم أيضا كعلامة رسمية لبضائع الحكومة ، الخ ٠٠٠

التى تلقاها بأى شكل من الأشكال ·· ورفع كأسه وشربه ·· وغاص رأسه ببطء ، حتى ارتاح على ذراعيه الممتدتين عبر المائدة ·· وأخذت الشمعة المشتعلة تذبل وتذبل ، حتى تلاشت بلا مبالاة ·· وهكذا ظل آتوس حتى طل ضوء الفجر البارد من خلال النافذة ·

الفصل السادس عشر

سر ميليدى

ورغم ما عرفه دارتنيان عن ميليدى حاليا ، الا أنه شعر بأنه ليس من الأدب أو اللياقة أن يغادر باريس دون أن يقول لها كلمة وداع • ولذلك مر عليها بعد ليلتين ليخبرها بمغادرته المبكرة مع فرقته الى الساحل الغربى لفرنسا ليأخذوا دورهم فى حصار روشيل • وعلى كل ، فهى لاتعلم أنه سمعها ، مصادفة ، وهى تتكلم عنه مع وصيفتها • بالاضافة الى أنه لايريد اثارة شكوكها بتوقف زياراته فجأة التى زادت فى الفترة الأخيرة •

ولم يبق طويلا ، وعندما شعر بأن من الأدب أن ينهض ، نهض مودعا · وكانت ميليدى رائعة كعادتها ، وعرضت عليه وهى تبتسم بمرافقته حتى الباب . فاشتبك ثوبها ، أثناء قيامها ، فى كعب حذائها الأيسر فانتزعه بحدة من الخلف · ولم يستطع الثوب الحريرى الرقيق ولا (الدانتيل) أن يصمدا ازاء هذا الحادث الخشن ، فتفسخ من عند الأكتاف ·

وتقدم دارتنيان ، بطبيعة الحال ، عندما رأى ارتباك ميليدى ، ليساعد فى فك اشتباك ثوبها ، فرأى على أحد الكتفين المكشوفين بسبب الثوب الذى تمزق ، شيئا أجفله ، لدرجة أنه لم يستطع الا أن يقف محملقا فى انبهار · كان يوجد على بشرة كتفها البيضاء وصمة العار : « زهرة السوسن » ·· وصمة المجرم المدان الذى يقوم الجلاد العام بكيها بالحديد المحمى على النار ·

والتفتت ميليدى ، وتحققت ، فى لمحة واحدة أنه اكتشف سرها ·· سرها المفجع الذى خبأته حتى على وصيفتها ·· فعوت ، اذ لم تعد امرأة ، بل قطة برية ·

ـ حقير ! عرفت سرى ·· سأقتلك !!

وركضت عبر الغرفة الى مائدة جانبية ، وسحبت درجا بأيد مرتعدة وقبضت على خنجر صغير له مقبض ذهبى ، واستدارت وألقت بنفسها على دارتنيان ·

ورغم شجاعته المعروف بهـــا ، ارتعد عند تغير مظهرها ·· كانت نظراتها متوحشة ·· عيناها متأججتين ·· وجنتاها شاحبتين .. شفتاها داميتين ممسوكتين بين أسنانها ·· فقفز الى الخلف ، وكأنه يهرب من حيـة سامة ، وسحب سيفه وهو لايدرى ما يفعله ·

أخذت تضربه بخنجرها بعنف غير عابئة بالسيف ، ولا بثوبها الممزق ولا بتهتك كتفيها العاريتين ، وتراجعت وهى تلهث بثقل عندما أحست بالطرف الحاد للسيف على حلقها ، وحتى عندئذ حاولت فى هياجها الأعمى أن تقبض على السيف بيدها لتصل الى دارتنيان ، ولكنه أطلق عنانه ، وأعاد تسديد سيفه على حلقها مرة وعلى عينيها مرة أخرى ·

وأخذت تصرخ باللعنات فى صوت يخيف ، فى حد ذاته ، أى رجــل عادى ، وانهالت عليـه ضربا بشكل يائس ٠

واسترد دارتنيان نفسه فى الحال ، فمهما كان فلا يتساوى كل ما حدث مع أية مبــارزة ، ثم أجبر ميليدى على الرجوع حثيثا عبر الغرفة بينما أخذ هو طريقه الى الباب ، وهدفه الوحيد الهرب ، وتحسس مقبض الباب من خلفه بيده اليسرى دون أن ينظر اليه ، وأداره ورفس البــاب بكعب حــذائه فانفتح ، وبقفزة واحدة أصبح خارج الغرفة ، وبسرعة البرق أغلق الباب من خلفه ، وأدار المفتاح فى القفل ٠

وأسرع راكضا السلالم بعد أن أغمد سـيفه ، ووقف فى طريق الباب الخارجى أسفل السلم ليهدىء من روعه ، وليمسح حبــات العرق عن حاجبيـه واستطاع سماع صرخات ميليدى وضربات خنجرها وهى تطعن الباب المغلق بتهور ٠٠ ثم ترك المنزل شاقا طريقه بكل سرعة الى مسكن آتوس ٠

واندهش آتوس ليحظى بزيارة متأخرة هكذا من دارتنيان الذى كان شاحبا مضطربا ، فأمسك آتوس بيديه وسأله :

– ما خطبـك ؟ هـل مات الملك ؟ هل قتلت الكاردينال ؟ هيا ، هيا ، أخبرنى !

فقال دارتنيان :

– آتوس . جهز نفسك لصدمة شديدة .

فقال آتوس بعد ما وضع كأسا له على المنضدة وفتح زجاجة النبيذ :

– حسن !

وتردد دارتنيان للحظة ، ثم همس :

– ميليدى موسومة على كتفها «بزهرة السوسن» .

فصاح آتوس :

– ماذا ؟ ماذا تقول ؟!

فقال دارتنيان :

ـ هل أنت متأكد مما قلته لى ذات مرة ·· أن تلك المرأة الأخـــرى ·· المرأة الأخرى الموســومة ـ زوجتك ـ أنها ماتت حقا ؟

أطلق آتوس تنهيدة عميقة وترك رأسه يغوص فى يديه لعدة لحظات · وعندما رفع رأسه لاحظ عليه دارتنيان أن كل علامات الحزن والأسى قد حل محلها تصميم بارد وعزم قاس ·

فقال دارتنيان :

ـ هذه امرأة فى حوالى السابعة والعشرين من عمرها ، ولكنها تبدو أصغر ·

فقال آتوس :

ـ شقراء ، أليس كذلك ؟

ـ جـدا ·

ـ عيون زرقاء برموش وحواجب داكنة ؟!

– أجـل ٠

– طويلة وحسنة القوام ؟!

– أجـل ٠

– ووصمة « زهرة السوسن » صـــغيرة وردية اللون وتبدو وكأن جهودا قد بذلت لازالة العلامة ؟!

– أجـل !

فقال وكأن فكرة فجائية قد طرأت له :

– لكن ٠٠ ولكنك قلت أنها كانت انجليزية ٠

فقال دارتنيان :

– انها تدعى ميليدى ، ومع ذلك فمن الســهل أن تكون فرنسية ، فهى تتكلم الفرنسية بلا شائبة ، وعلى كل فلورد ونتر مجرد أخو زوجها ٠

– انها هى ٠٠ زوجتى ، وكنت أظن أنها ماتت ٠ سأقوم بزيارة لها ٠

– خذ حذرك يا آتوس ، فهى قادرة على أى شىء ٠ هل شاهدتها وهى غاضبة ؟

فقال آتوس :

ـ كلا ·

ثم حكى دارتنيـــان عندئذ كل شيء حدث له
واضاف قائلا :

ـ انها قطة برية ·· نمرة ·· وأقسم بشرفي ، ان حياتك لن تساوي شعرة اذا علمت أنك مازلت حيا ·· لحسن الحظ أننا سنغادر باريس بعد غد ·

فاجاب آتوس :

ـ هل تظن الحياة تعني كثيرا بالنسبة لي ·

ـ يوجد سر جديد يحيط بها ·· انها بالتأكيد احدى جواسيس الكاردينال ·

فقال آتوس :

ـ في هذه الحالة خذ حذرك أكثر · فالكاردينال لم يغفر لك موضوع ماســات الملكة · واذا خرجت ،

فلا تخرج بمفردك ، بل وعنـــدما تأكل اتخـــذ كافة الاحتياطات ، وشك في كل شيء حتى في خيالك أنت ٠

فقال دارتنيان :

ـ لحسن الحظ ، لن تكون مثل هذه الاحتياطات ضرورية حيث سنكون فى طريقنا غدا للالتحاق بالقوات قرب روشيل ٠ وآمل هناك ألا نخشى سوى الرجال ٠

فقال آتوس :

ـ ومع ذلك ، سأرافقك الى سكنك ٠

وأبلغ آتوس رجله جريمود ، عندما خرجا بعد ســـاعة ، أن يحضر بندقيتـه ويتبعهما على بعد عدة خطوات ٠

الفصل السابع عشر

دارتنيان يركض هاربا

وفى صباح اليوم التالى ، أجرى لويس الثالث عشر استعراض القوات المنتخبة للهجوم على ميناء روشيل .

وكانت الناس مصدر ازعاج وقلاقل بالنسبة للكاردينال لعدة سنين . وعدم اخلاص السكان ومكائدهم ضد الملكين جذب المشاركين وجدانيا والمغامرين وقناصى الثروات من جميع الجنسيات ، فوجد أعداء فرنسا ترحيبا جاهزا ولجوءا آمنا داخل جدران المدينة. علاوة على أن روشيل كانت آخر ميناء ظل مفتوحا للانجليز الذين اعتبرهم الفرنسيون فى هذا الوقت أعداءهم الطبيعيين .

ولقد وعد الانجليزى ، أو على وجه التحديد دوق باكنجهام ، أكبر عدو للكاردينال ، سكان روشـيل بامدادهم بالمساعدات ، لتمكينهم من المقاومة ضد أى هجوم من قبل القوات الملكية · وعنـدما علم لويس الثالث عشر أن باكنجهام قد أرسـل قوة من تسعين سفينة وعشرين ألف رجل ، وانه رسـا بالفعل على شاطىء جزيرة رى المقابلة لقلعة روشـيل المحاصرة ، لم يعد يشك فى كلمة الكاردنيال فى أن هنـاك خطرا داهما على مملكة فرنسا · لذلك قرر ارسال جيش من الرجال المنتقين ليحلوا محل المتمردين ، على أن يشرف بنفسه على الهجوم بمساعدة الكاردينال ·

ومع ذلك ، لم يغادر باريس مع قواته الرئيسية · وكان على حرسه الشخصى — الفرسان — أن يبقوا معه فى الخلف ، وهذا ما كان يضايق الأصدقاء الأربعة · وبعد العرض مباشرة ، انطلقت القوات التى قادتهـا فرقة حرس الملك التى يتبعها دارتنيـان متجهة الى الساحل الغربى ·

كان الجاسكونى الصغير راكبـــا فى خيلاء مع رفاقه ، ومنشــــغلا تمـــاما حتى أنه أخفق فى ملاحظة ميليدى التى تمتطى جوادا جميلا فى لون الكستناء ، ووقفت فى مكان يمكنها من رؤية القوات عند مرورها بكل وضوح • وكان بالقرب منهـــا رجلان يمتطيان جوادين رائعين • وعنــــدما تبين أحدهما دارتنيـــان ، أومأت اليهما ، وبالتأكيد لن يخفق الرجلان فى التعرف على دارتنيان مرة ثانية • وأعطتهما تعليمات معينـــة فى صوت هادىء وحاسم ، ثم ركض الرجلان بجواديهما فى نفس اتجاه القوات •

وتوقفت القوات عند مشارف روشيل ، وأقاموا معسكرا فى انتظار وصول الملك وهكذا انفصل دارتنيان عن أصدقائه الثلاثة ، ولديه الآن الوقت الوفير للتفكير فى هدوء لقد اكتسب منذ وصوله الى باريس كثيرا من الخبرة ، وكسب أربعة أصدقاء مخلصين • لاشك أنه عد مسيو دى تريفى كصديق !

ولكن عندما جاء ليتأمل فى مستقبله ، لم يجد سوى أفكار عابسة •• وعلى قدر رؤيته ، فلقد خلق

لنفسه عدوا رغم عدم أهميته ، من الكاردينال ، الرجل الذى يرتعد أمامه عظماء الرجال بالمملكة ، ويمـــكن للكاردينال أن يسحقه ، ومع ذلك ، ولأسباب خفية ، لم يفعل ٠

أما عدوه الآخر – ميليدى – فهى أقل شأنا لكى يخاف منها ٠٠ ومع ذلك كان يشعر بأنها ليست بالعدو الذى يستخف به ٠

أخذ دارتنيان يســـير ببطء على طول الطريق المؤدى من المعسكر الى قرية صغيرة مجاورة ، مقلبا هذه الأفكار لنفسه فى برودة آخر النهار اللطيفة ٠ ولقد لفت انتباهه على مسافة من المعسكر حركة خفيفة لشىء على جانب الطريق ، وكان هذا الشىء يلمع فى أشعة الشمس الغاربة ، وتخيل أنه ماسورة بندقية ٠

ويتمتع دارتنيان بسرعة البصر والبديهـــة ٠٠ فمن الواضح أن البندقية ، لم تأت بمفردها ٠٠ وأن الشخص الذى يحملها لم يختبىء خلف السور حاملا نوايا طيبة ٠٠ ورأى فى نفس اللحظة ماسورة بندقية

أخرى تبرز من خلف صخرة على الجانب الآخـر من الطريق ٠٠ انه شرك بكل وضوح ٠

ولما تطلع الى البندقية الأولى رآها تتجه ناحيته ببطء ، وعندما رآها لاتتحرك ألقى بنفسه على الأرض ، وبعد لحظة أخرى انطلقت البندقية ، ومرت رصاصة من فوق رأسه ٠

كان لايجب تضييع دقيقة واحدة ، فهب دارتنيان على قدميه وقفز جانبا ، وفى الحال انطلقت البندقية الثانية ، وارتطمت رصاصة بالأرض حيث كان راقدا ٠

كان دارتنيان جاسكونيا ، فهو لايبحث عن ميتة سخيفة حتى يقال انه ثبت ولم يتراجع خطوة واحدة ٠٠ بالاضافة الى أن الشجاعة هنا ، ليست محل اعتبار ٠

لذلك أخذ ذيله فى أسنانه وركض هاربا متجها الى المعسكر على قدر ما تسعفه ساقاه ، وخصوصـا أن الأول الذى أطلق النار . أعاد حشو بندقيته ٠ وكان تصويبه هذه المرة أفضل ، اذ ضربت الرصاصة قبعة دارتنيان فحملتها بعيدة عنه عدة خطوات ٠٠ ولما كانت

هذه هى القبعة الوحيدة لديه ، جازف دارتنيان وتوقف لالتقاطها ٠٠ ولراحته العظيمة لم تطلق رصـــاصة أخرى ٠

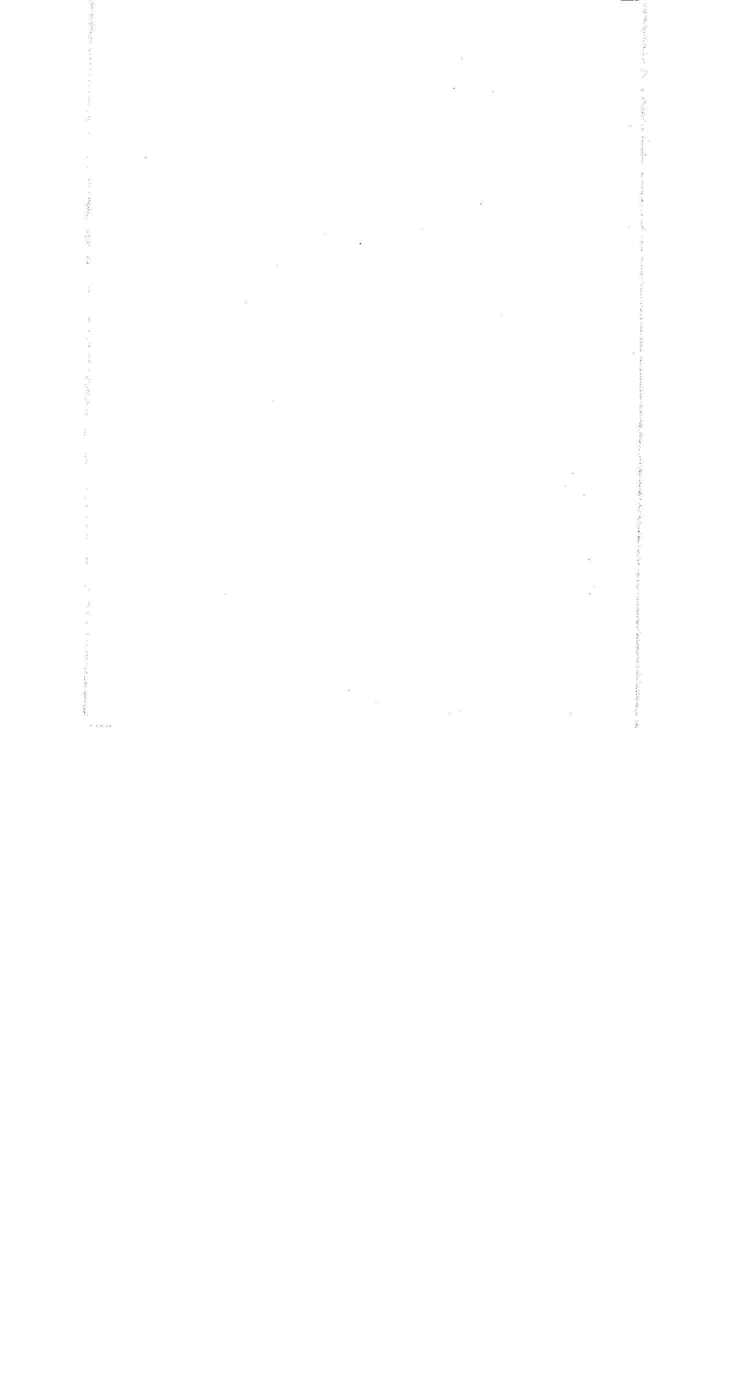
ووصل الى المعسكر شــاحبا ، لاهثا ، منقطع النفس ٠ وذهب الى خيمته مباشرة ، دون أن يكلم أحدا ، وجلس بمفرده ، وأخذ قبعته ٠ وفحص الثقب الذى سببته الرصاصة بعناية ، فأيقن أن الرصاصة التى تسببت فى الثقب ليست عسكرية ٠٠ ولذلك فهو ليس شرك من قبل الاعداء ، ورفض أن يعتقد بأن الكاردينال قد يستخدم مثل هذه الاجراءات المريبة للتخلص منه أو من أى عدو آخر ٠

أغلب الظن أن ميليدى قد استأجرت هؤلاء الأوغاد لتنفيذ أمرها فى أول فرصة سانحة ٠ وحاول أن يتذكر مظهرهم أو ثيابهم ، ولكن بسبب فراره السريع لم يلاحظ شيئا ٠

وفى هذه الليلة أمر بحراســة خيمتـه ، وظـل بالداخل متعللا بأنه مرهق ويحتاج الى الراحة والهدوء ٠



أخذ دارتنيان ذيله في اسنانه وركض هاربا



الفصل الثامن عشر

مهمة خطرة تجلب نتائج غير عادية

وبعد ذلك بأيام قليلة قام دوق دى أورليـانز ، الآمر للقوات الفرنسية أمام روشـيل ، بالتفتيش على المعسكر . وكان راضـيا عن كل شىء رآه ، ومدح مسيو ديزيسارت رئيس حرس الملك بشكل خاص .

والتفت دوق دى أوليانز **ورفع صوته قائلا :**

ـ انى أطلب ثلاثة أو اربعة متطوعين مع قائد كفء لتنفيذ مهمة خطيرة !

فقال مسيو ديزيسارت مشيرا الى دارتينيان :

ـ الرجل الذى يقودهم موجود هنا ·

فخطا دارتنيـان الى الأمام رافعـا سـيفه ، ونادى قائلا :

ـ أربعة رجال يواجهون الموت معى ·

فتقدم اثنـان من الحرس ، وتبعهما اثنان من الجنود فى الحال · وقبل دارتنيان هؤلاء الأربعة الذين أظهروا رغبة أكيدة ، ورفض جميع الآخرين ·

وظهر أن حامية روشيل قامت بهجوم ، أثنـاء الليل ، وأعادت أسر الباستيون (*) الذى كانت القوات الملكية قد استولت عليه قبل أيام قليلة ·

وكان واجب دارتنيان هو فحص هذا الباستيون عن كثب ليرى كيف يقوم العدو بحراسته ·· وانطلق مع رفاقه الأربعة ، وسـاروا على طول خندق ضيق

(*) برج يتبع التحصينات الخارجية حول المدينة ·

حماهم حتى أصبحوا على بعد مائة خطوة من الباستيون ٠٠ ووقفوا يتصنتون ويتطلعون الى الضفة المحمية ٠٠ ولاحظ دارتنيان أن الجنديين لم يعودا خلفه ، ففكر :

– الجبناء ، ربما اختفيا نتيجة خوفهما ٠

وبعد ذلك بقليل استداروا حول منعطف ، فوجدوا أنفسهم على مسافة ستين خطوة من هدفهم مع عدم وجود جندى واحد ، وظهر الباستيون وكأنه مهجور ٠٠ وقبل أن يقرروا الذهاب أو الانتظار للمراقبة انطلقت دستة من رصاص البنادق تصفر مارة قرب ثلاثتهم ٠

فدلهم ذلك على كل ما يبغون معرفته ، ان الباستيون محروس ٠٠ فركضوا فى الحال ٠ وبمجرد أن داروا حول منعطف الخندق سقط أحد رجلى الحرس برصاصة فى الصدر ، بينما كان الثانى فى المقدمة يشق طريقه نحو المعسكر بأقصى سرعة ممكنة ٠

وعندما وقف دارتنيان لمساعدة الرجل الذى

سقط ، فاذا برصاصتين أخريين تنطلقان ، فأصابت احداهما رأس الرجل الميت من قبل ، وأصابت الأخرى جانب الخندق بالقرب من دارتنيان ٠

وكان من الواضح ، من اتجاه الرصاصة ، أنها لم تأت من الباستيون ، ثم خطـر الجنديان فى ذهن دارتنيان ، وتذكر عندئذ محـاولة اغتياله بعد ظهر الأمس ٠٠ فصـمم أن يكتشف هذه المرة ، مع من يتعامل ، فسقط على جثة رجل الحرس الميت ، وكأنه قد أصيب ٠

وبعد فترة وجيزة ، ظهر رأسـان عند منعطف خنـدق جانبى ، فكانا رأسى الجنديين ٠٠ ولم يـكن دارتنيان مخطئا فى حدسه ٠٠ فلقد انتهز الرجـلان فرصة ذهابهما مع دارتنيان آملين قتله فيبدو أنه قتل بواسطة العدو ٠٠ ولكن اذا جـرح دارتنيـان فقط فسيعلن عنهما فيما بعد ، لذلك اقتربا منه ليتأكدا ٠٠ ومن سوء حظهما ، أن حيلة دارتنيـان قد خدعتهما ، لذلك تباطآ فى اعـادة حشو بندقيتيهما ، ووضـح

دارتنيان فى اعتباره ألا يترك سيفه ·· وعندما أصبحا على بعد خطوات قليلة منه قفز على قدميه ·

وأدرك القاتلان فى الحال بأنه لن يجديهما الفرار الى المعسكر دون قتل رجلهما أولا ·· وكانت خطتهما أن يلتحقا بالعدو اذا فشلا · وضرب أحدهما دارتنيان بمؤخرة بندقيته ، فتفاداها دارتنيان بأن قفز جانبا ، فأفسح بذلك مجالا حرا للجندى الثانى لاجتيازه مندفعا فى اتجاه الباستيون ، وأطلق حرس الباستيون النار فسقط مكسور الكتف ، وهاجم دارتنيان فى هذه الأثناء الجندى المتبقى ·· واستمر القتال للحظات قليلة سقط بعدها الجندى بطعنة سيف فى فخذه ·

وصرخ الجندى متوسلا ، عندما وضع دارتنيان طرف سيفه عند حلقة :

– لاتقتلنى · سامحنى ، سامحنى ، وسأخبرك بكل شىء !

فقال دارتنيان :

ـ لماذا ؟ هل سرك له أهمية كافية ليوقفنى عن قتلك ؟

ـ أجل ، اذا كنت تعتقد أن الحياة تساوى أى شيء لشاب شجاع وجميل مثلك ٠

فصرخ دارتنيان :

ـ يا وغد ، تكلم فى الحال ! من استخدمك لقتلى ؟

ـ أنا لا أعرف من هى سوى أنها تدعى ميليدى ٠

ـ اذا لم تعرفها ، فكيف تعرف اسمها ؟

ـ رفيقى تكلم معها ، وأبرمت الاتفاق معه ٠ وفى الحقيقة ، لديه رسالة منها فى جيبه ٠

ـ وكيف اشتركت فى هذا العمل ؟

ـ لقد اقترح على مشاركته ، ووافقت ٠

– وماذا تكسب من وراء ذلك ؟

– مائة لويس فيما بيننا ٠

فقال دارتنيان ضاحكا :

– وهكذا تعتقد اننى أساوى شيئا ٠ مائة لويس! اغراء كاف لوغدين مثلكما ٠ وعلى كل سأبقى على حيانك تحت شرط واحد ٠

فسأل الجندى متلهفا :

– ما هو ؟

– أن تذهب وتأتى بالرسالة التى تقول انها فى جيب رفيقك ٠

فصرخ الجندى :

– كلا ، كلا ، انها طريقة أخرى لقتلى ٠ فالجنود فى الباستيون سيقتلوننى لا محالة ٠

– هيـــا ! قـــرر ٠٠ اذهب واحضر الرســـالة والا سأغرز سيفى فى قلبك ٠

فصرخ الرجل ملقيا بنفسه على ركبتيه :

ـ سامحنى يا سيدى ٠٠ الشفقة !

فصرخ دارتنيان مندفعا نحو الرجل فجاة وبعنف :

ـ لابد أن أحصل على هذه الرسالة ٠

فولول الرجل ، خائفا على عمره . **قائلا :**

ـ سأذهب ، سأذهب ٠٠ !

وزحف الرجل الجريح نحو رفيقـه مرتعشـا والفزع من الموت باد على وجهه ٠ فأخذت دارتنيـان الشفقة عليه ، عندما شاهد الرعب على وجه الرجـل ولاحظ الدم الذى يفقده ، **فقال بنظرة احتقار :**

ـ قف ، سوف أريك الفرق بين رجل شـجاع وجبان مثلك ٠ ابق كما أنت وسأذهب بدلا عنك ٠

ووصل دارتنيان الى الجندى الثانى فى أمان ، بعد ما راقب ، بحرص ، تحركات الرجـال القائمين بالحراسة ، ومستغلا الصخور والحفر فى حماية نفسه٠

وبقى شىء أو شيئان ليقوم بهما حاليـــا ، فهو يمكنه أن يفتش الرجل فى الحال ، أو يحمله ويعود به مستخدما اياه كدرع واق ، ثم يفتشه فى الخندق ٠

وعزم دارتنيان ، بدون تردد ، على الخطة الثانية ، ورفع الرجل على كتفه ، ففتح العدو نيرانه ٠ وشعر دارتنيان بثلاث رصاصات تصيب الرجل على الأقل ، وهكذا أنقذه من القتل من أراد قتله ! وعاد الى الخندق بدون اصابة ، ووضع دارتنيــان الميت على الأرض ، وفتش فى جيوبه ٠

فوجد الرسالة فى جيبه الداخلى ، وقرأ فيهــا ما يلى :

— « لا تخطىء الرجل ٠ اذا حدث ، فأنت تعرف أن يدى تمتد لأبعد مدى ، وستدفع أغلى بكثير من المائة لويس التى استلمتها منى » ٠

لم يكن بها أى توقيع ، ولكن ليس هناك أدنى شك من أن الرسالة من ميليدى ، ووضع هذه الرسالة فى جيبه بعناية ، فهى تشكل دليلا قيما ضدها ٠

واستدار دارتنيان نحو الرجل الجريح وأمسك بيده قائلا :

ـ لا أستطيع أن أتركك هنـا ، وأنت فى هذه الحالة · استند على ذراعى ، ولنعد الى المعسكر ·

فانكب الرجـل على ركبتيه وانحنى ليقبل قدمى دارتنيان ، **وتوسل قائلا :**

ـ الشفقة يا سيدى ، انك تأخذنى الى حيث أشنق · دعنى أموت هنا · الشفقة ·

فقال دارتنيان حانقا على جبن الرجل :

ـ انهض ، واقسم بكلمتى ، وللمرة الثانية بأننى سأبقى على حياتك ·

لقد وصل رجل الحرس الى المعسـكر فى أمان وأعلن موت الأربعة الآخـرين ، ولذلك ابتهج الجميع عند مشاهدة دارتنيان راجعا ومعافى ·

وشرح دارتنيـان كيف هاجموا العدو للحصول على معلومات أكثر ، وكيف قتل العدو الرجلين وجرحوا الجندى الذى أحضره معه ٠

ومدح الجيش كله دارتنيـان بشكل كبير ، ولم يتحدثوا طوال اليوم الا عن نجاحه فى هذه المهمة ٠
وحتى دوق دى أورليانز هنأه بعد سماع تقريره ٠

والآن ، قد قتـل واحد من أعدائه ، ولا يرغب الآخر الا فى خدمته ، وشعر دارتنيان بالراحة الذهنية ٠

وأثبتت هذه الراحة أن دارتنيان كان سىء الحكم على ميليدى ٠

الفصل التاسع عشر

نبيذ أنجو

ومرت أيام ولم يصل الملك كما كان متوقعا ، واتضح أن مرضا طفيفا كان سبب التأخير . واستمر دارتنيان في حياته العملية سعيدا . وكان قلقه الوحيد ناتجا عن قلة الاخبار عن أصدقائه الثلاثة . .

وكان فرحه كبيرا عند استلامه ، بعد بضعة أسابيع ، هذه الرسالة :

سيد دارتنيان :

لقد حظيت باستضافة السادة آتوس ، وبورتس، وأراميس بمنزلى . ولقد سر هؤلاء السادة بنبيذ أنجو ،

حتى أنهم أبدوا رغبتهم فى أن أرســـل لك دســتة زجاجات منه ·

ولقد قمت بذلك ، وأظل ياسيدى مع احترامى العظيم ·

خادمكم المطيع المتواضع

جوديو

فصرخ دارتنيان :

– رائع ! لقد فكروا فى فى أوقات سرورهم ، كما فكرت فيهم فى أوقات ضيقى · ومع ذلك فلن أشرب فى صحتهم بمفردى ·

وأسرع فى الحال ليبحث عن رجلين من الحرس ، كان قد تصادق معهما · فكان أحدهما فى خفارة تلك الليلة ، والثانى فى الليلة التالية ، لذلك تم الاتفاق على أن يتناول ثلاثتهم العشاء فى الليلة التاليــة لذلك ، ويشربوا فى صحة أصدقائهم الغائبين ·

وأعطى دارتنيـان رجله بلانشـيت مسـئوليه زجاجات النبيذ الاثنتى عشرة ، والتعليمـات لاعـداد العشاء الخاص .

كان بلانشـيت سعيدا بذلك ، فقام بالمهمة بنية طيبة ، مدركا أن سيده سوف لايمانع فى اعطائه قليلا من هذا النبيذ الفاخر . وكان فى مساعدته ، الجندى المزيف الذى أصبح الآن فى خدمة دارتنيان ، بالاضافة الى خدمات فورو خادم أحد الضيفين .

وجاء وقت العشـاء ، وأخذ الأصدقاء الثلاثة أماكنهم ، ووضعت الأطباق على المائدة بنظام ، وقام بلا نشيت بالخدمة عليهم ، وقام فورو بفتح الزجاجات، وقام بريسموند ، الجنـدى المزيف بسكب النبيذ فى الكاسـات . وعندما فتح الزجـاجة الأولى قام فورو بخضها ، لذلك أصبح النبيذ غير صاف . فأبلغ دارتنيان الجندى بأنه يستطيع شرب هذا النبيذ ، عله يساعده فى سرعة ابلاله من جـرحه ، ويملأ الكاسـات من زجاجات جديدة .

انتهى الضيفان من تناول حسائهما ، وكانا على وشك أن يرفعا بكاساتهما ليشربا نخب مضيفهما ، عندما سمع الجميع صوت بنادق ، فخشى ثلاثتهم من هجوم مفاجىء ، فقبضوا على سيوفهم وانطلقوا مسرعين الى مواقعهم ٠

وبمجرد خروجهم من الغرفة سمعوا هتافات مجلجلة :

ـ عاش الملك ، عاش الكاردينال ٠

وكانت طلقات البنادق ما هى الا تحية لقدوم الملك ٠

ووصل الملك ، أخيرا ، مع فرسانه وعشرة آلاف رجل ٠ وانتصب دارتنيان فى مقدمة سريته ، وبعد انتهاء احتفال الاستقبال تلاقى الأصدقاء الأربعة مرة أخرى ٠

وصرخ دارتنيان فى سعادة :

ـ ليس هناك أفضل من اللحظة التى وصلتم فيها ٠

وقام بتقديمهم لرجلى الحرس **وقال :**

– والآن ، يمكنكم مساعدتنا فى شرب نبيذكم .

فقال آتوس باندهاش :

– نبيذنا ؟

– لماذا ، أجل ! نبيذكم الذى أرسلتموه لى .

– النبيذ الذى أرسلناه لك ؟!!

– لماذا ، طبعا – نبيذ أنجو الذى حاز اعجابكم !

فقال آتوس مختلسا النظر الى أراميس :

– هل أرسلته يا أراميس ؟

– كلا !

واستمر آتوس :

– أنت يا بورتس ؟

– كلا !

فقال دارتنيان :

ـ حسن ، اذا لم يكن أنتم ، فلابد أن جوديو هو الذي أرسله باسمكم !

فقال بورتس :

ـ لايهم من أين أتى ، المهم ان نشربه ، هلم بنا ٠

فقال آتوس بحزم :

ـ كلا ٠ لسنا حمقى لنشرب نبيذا قادما من مجهول ٠

فقال دارتنيان :

ـ ولكن ! ألم تطلبوا من جوديو أن يرسل لى بعض النبيذ ؟

ـ كلا ! لم يحدث ، ولماذا تعتقد أننا فعلنا ذلك ؟

فقال دارتنيان :

ـ هاهى الرسالة التى صاحبت النبيذ ٠

وأظهر الرسالة لرفاقه .

فقال آتوس بصوت مرتبك :

– لا يمكن أن تكون هذه الرسالة من جوديو ، بالاضافة الى أننـــا لم نتعش معه منذ شهور ! هذه الرسالة مزيفة .

وصمت الأربعة ، وسرح كل مع خواطره ، وكان دارتنيان أول من يبدد هذا السكون ، وصرخ قائلا :

– ميليدى ! أيمكن أن تكون هذه محاولة أخرى لاغتيالى ؟

واستدار فجأة ، واندفع الى غرفة الطعام ويتبعه من ورائه أصدقاؤه الثلاثة والضيفان . وأول شىء رآه دارتنيان عند دخوله الغرفة كان بريسموند وهو يتلوى على الأرض فى ألم فظيع . ويحاول بلانشيت وفورو مساعدته وهما شاحبان مرتعشان ، ولكن من الواضح أن الرجل ينازع الموت ، وكان يئن فى ألم ، وعندما وقع بصره على دارتنيان قال من بين أسنانه :

ـ آه ! بعد ما تظاهرت بعفوك عنى ، سممتنى .

فتساءل دارتنيان :

ـ ماذا تقول ؟ يا وغد !

فلهث الرجل قائلا :

ـ لقد أعطيتنى النبيذ ، وأبلغتنى أن أشربه ، لقد أردت أن تنتقم !

فقال دارتنيان :

ـ أقســـم بشرفى ! أننى لم أعرف بأن النبيذ مسموم .

ولكن ليس هناك فائدة من قول أى شىء أكثر ، فالرجل قد مات .

فقال آتوس :

ـ فظيع ! فظيع !

والتفت دارتنيان الى ضيفيه وقال :

ــ يا سادة ، أرجو منكما ألا تتكلما عما قد حدث. ربمـــا يكون لانـــاس ذوى ســلطة كبيرة يد فى هذا الموضوع ، وسيكون أكثر أمنا لكما أن تكونا بعيدين عن ذلك .

فوعد رجلا الحرس بألا يذكرا الموضـــوع لأى شخص ، ثم شعرا بأن الأصدقاء الأربعة يرغبون فى البقاء وحدهم ، لذا استأذنا بالانصراف وغادرا الغرفة .

فقال آتوس :

ــ فلنغادر هذه الغرفة ونأكل فى مكان آخر . فالموتى ليسوا رفاقا مبهجين على المائدة .

وقال دارتنيان قبل أن يخرج :

ــ بلانشيت ، ســأترك جثــة هـــذا الرجل فى رعايتك ، اطلب القسيس ، وتأكد من الدفن بالشكل الصحيح.. حقيقى أنه ارتكب جريمة ، لكنه تاب عنها.

وفى غرفة بالطابق العلوى ، قام صاحب الفندق على خدمة الأصدقاء الأربعة ، وقدم لهم طعاما طازجا ، وشربوا ماء قراحا سحبه آتوس بنفسه من البئر الذى يقع خلف الفندق ٠

وأثناء هذه الوجبة البسيطة ، أخبر دارتنيان أصدقاءه عن كل المحاولات السابقة لاصابته بالنار ٠

الفصل العشرون

فندق برج الحمام الأحمر

وبعد عدة ليال ، كان آتوس وبورتس وأراميس يركبون جيادهم عائدين ، على مهل ، الى المعسكر من فندق بالقرية المجاورة . عندما سـمعوا وقع أقدام جياد تقترب . كانوا ثلاثتهم مسلحين تماما وعلى أهبة الاستعداد ، ولكنهم لايعرفون ان كان القادم عدوا أم صديقا ، فتوقفوا متلاصقين فى منتصف الطريق .

وظهر القمر فى هذه اللحظة من وراء السحب ، فرأوا رجلين على صـهوة جوادين ، وفى نفس الوقت شاهد الراكبان المقتربان الرفاق الثلاثة فتوقفا أيضا ،

وظهر ترددهما في الاستمرار أو الرجوع · وكان هذا التردد ، بالطبع ، كافيا لايقاف شكوك الفرسان الذين لايعرفون الخوف ، **فصاح آتوس في الحال :**

ـ من يسير هناك ؟

فأجاب أحد الراكبين :

ـ من أنتم ؟

فاجاب آتوس :

ـ هذه ليست اجابة ، من يسير هنـاك ؟ أجب والا سنهجم !

فقال صوت ،يبدو معتادا على القاء الأوامر :

ـ من الأفضل توخي الحذر ياسادة ·

فقال آتوس لرفاقه :

ـ يبدو أنه ضابط عظيم في تفتيش ليلي · ماذا تقترحون ؟

فكرر نفس الصوت الآمر :

– من أنتم ؟ أجيبوا والا ستندمون على عدم الطاعة !

فقـــال آتوس مقتنعـا أن المتحدث له الحق فى السؤال أكثر منهم :

– فرسان الملك !

– من أى سرية ؟

– مسيو دى تريفى ·

– تقدموا ، وأخبرونى ماذا تفعلون هنا فى هذا الوقت من الليل ·

فسار الرفاق الثلاثة ببطء للأمام · ومع ذلك ، أعطى آتوس اشـارة الى بورتس ، وأراميس للوقوف عندما رأى أن المتحدث متقدم عدة خطوات للأمام عن الآخرين ، وتقدم هو بمفرده ، **وقال :**

ـ نرجو العفو يا سيدى . لم نعرف من أنتم ، ولكن يمكن أن تروا أننا نقوم بالحراسة .

فقـال الضـابط الذى يغطى جزءا من وجهـه بعباءته :

ـ ما اسمك ؟

فقال آتوس متضايقا من الاستجواب :

ـ لكن من أنت ياسيدى ؟ أود ان أعرف هل لك الحق فى اسـتجوابى أم لا ! فطلب الراكب دون أن يكشف عن وجهه : ما اسمك ؟

فهتف آتوس فى اندهاش :

ـ الكاردينال !

فسأل الكاردينال للمرة الثالثة :

ـ ما اسمك ؟

ـ آتوس !

فنادى الكاردينـال مرافقه ، وقال فى صـوت منخفض :

ـ على هؤلاء الفرســـان الثلاثة أن يتبعونى . لا أريد أحدا أن يعرف أننى تركت المعســـكر ، واذا تبعونا فسنتأكد من أنهم لن يخبروا أحدا .

فقال آتوس :

ـ سيدى ، نحن فرســان . أطلب كلمة شرف منا ، ولاتخف . نحن نحفظ السر ، كما تعلم !

فنظر الكاردينال بثبات الى آتوس ثم قال :

ـ لديك أذن حادة يـا مسيو آتوس . اننى لم أطلب منك أن تتبعنى لا لأننى لا أثق فيك ، ولكن لأننى قد أحتـاج لحمايتك ، وأعتقد أن رفاقك هم الســادة بورتس وأراميس ، أليس كذلك ؟

فأجاب آتوس :

ـ أجل ياسيدى !

فقال الكاردينال :

ـ اننى أعرفكم يا سادة ، أعرفكم · وآسف لأنكم لستم أصـــدقائى تماما ، ولكنــكم على الأقل ، سادة شجعان مخلصون ، وأعرف أننى يمكن أن أثق فيكم · أرجو أن تصاحبوننى !

فقال آتوس :

ـ لقد أحسنت ياسيدى فى أن تطلبنا لمواكبتك· لقد رأينا العديد من الرجال ذوى المظهر الشرير على الطريق ، بل ووقعت منا مشاجرة بسيطة مع أربعة منهم عند فندق برج الحمام الأحمر ·

فقال الكاردينال :

ـ مشاجرة ؟ لماذا ياسادة ؟ أنتم تعرفون اننى لا أحب المتشاجرين ·

ـ لهذا السبب يا سيدى ، لى الشرف أن أبلغكم ، حيث قد يعطونك الآخرون صورة مزيفة ، وتلومنـــا بناء على ذلك ·

فقال الكاردينال عابسا :

ـ حسن ، وماذا كانت نتيجة المشاجرة ؟

ـ حصل صديقى أراميس على جرح طفيف فى ذراعه ، ومع ذلك ، كما ترى ، فهو مستعد لنزول الميدان غدا اذا لزم الأمر ٠

فقال الكاردينال :

ـ ليس من عادتكم أن تسمحوا لأنفسكم بالاصابة بجراح هكذا ٠ كونوا صريحين ياسادة ٠ أعتقد أنك قمت بالانتقام من أحد ٠

فقال آتوس :

ـ أنا ! سيدى ؟ لماذا ، اننى حتى لم أستل سيفى ٠ اننى قبضت فقط على الآثم وألقيت به خارج النافذة ٠

ثم أردف مترددا :

ـ ومع ذلك ، يبدو أنه كسر فخذه نتيجة للسقوط ٠

فقال الكاردينال :

ـ آه ! وماذا فعلت يا مسيو بورتس ؟

ـ اعلم ياسيدى ، أن المبارزة ممنوعة ، لذلك أمسكت بطاولة ولطمت أحدهم بها . أعتقد أن اللطمة قد كسرت كتفه !

ـ وماذا فعلت يامسيو أراميس ؟

ـ كما تعرف ياسيدى ، فأنا صـــبور جدا ، ومولع بالدراسة ، وأكره المشاجرات هجم على واحـد من هؤلاء الأشرار وجرحنى فى ذراعى الأيسر ، فنفد صبرى ، وسحبت سيفى لادافع عن نفسى ، فاندفع على بعنف شديد حتى أنه ركض الى سيفى الذى مر من خلاله تماما . كل ما أعرفه بالتأكيد ، أنه وقع ، ولكنى أعتقد أن اثنين من رفاقه حملاه .

ـ يا للسماء ! ياسادة ، ثلاثة رجال يصابون فى مشاجرة ! انكم لاتعملون عملا الا وتتقنوه . ما كان سبب المشاجرة ؟

فقال آتوس :

- كانوا مخمورين ياسيدى ، واعتقدنا انهم قد يزعجوا السيدة التى وصلت الفندق هذه الليلة .

- وكيف كانت تبدو هذه السيدة ؟

فأجاب آتوس :

- اننا لم نرها .

فقال الكاردينال بحدة :

- لم تروها ؟ ومع ذلك أبليتم بلاء حسنا للدفاع عن السيدة . اننى ذاهب لبرج الحمام الأحمر بالمصادفة ، وسأستطيع أن أثبت مدى صحة روايتكم !

فقال آتوس بافتخار :

- سيدى ، لقد أخبرتك من قبل أننا سادة ، اننا لانكذب لنحمى أنفسنا .

فقال الكاردينال :

- أوه ! اننى لا أشك فى كلامك على الاطلاق . على فكرة هل كانت هذه السيدة بمفردها ؟

ـ كلا ، يبدو أنه كان لديها زائر · ولكنه لم يظهر نفسه ، بالرغم من الضجة ، ولذلك فهو على أغلب الاحتمالات جبان !

فقال الكاردينال :

ـ لاتتسرع فى الحكم ·· اتبعنى لو سمحت ·

ووصلوا الى برج الحمام الأحمر فى غضون دقائق قليلة ، ولكن الكاردينال أمر مرافقه والفرسان ان يتوقفوا على بعد مسافة قصيرة من الباب ·

ثم اقترب من باب جانبى وطرق ثلاث مرات بطريقة معينة ، فخرج رجل يرتدى عباءة كبيرة ، وتحدث مع الكاردنيال لبضع دقائق ، ثم قفز على حصانه المنتظر ، وانطلق ·

وقال الكاردنيال بعد ماركض الرجل الغامض بجواده :

ـ اقتربوا ياسادة ، لقد قلتم لى الحقيقة ، ولن تكون غلطتى اذا كان لقاؤنا هذه الليلة غير موات لكم يوما ما ·

وترجل الكاردينال ، مخبرا الآخرين أن يفعلوا مثله ، وسلم لجام جواده لخادمه ، وربط الفرسان الثلاثة جيادهم فى السور ٠

وكان من الواضح على صاحب الفندق ، الذى جاء بنفسه الى الباب أنه يتوقع ضابطا عظيما ٠ ولكنه لايعرف من هو ٠

فسأل الكاردينال :

ـ هل لديك غرفة سفلية ، حيث يمكن للسادة أن ينتظروا قرب نار دافئة ؟

فانحنى صاحب الفندق ، وقادهم الى غرفة واسعة ، وكان الموقد الحديدى القديم قد تم استبداله بمدفأة حائط كبيرة وممتازة فيها نار مشتعلة مبهجة ٠

وعلق الكاردينال :

ـ ممتاز ٠ أدخلوا ياسادة ، وانتظرونى هنا ، فسوف لا أبقى طويلا ٠

ودخل الفرسان الثلاثة ، وذهب الكاردينال الى الطابق العلوى فورا ، وكان واضحا أنه يعرف الطريق ، وجلس بورتس وأراميس على المائدة قرب النار ، بينما كان آتوس يذرع الغرفة ذهابا وايابا ، متسائلا من هو الذى سيشرفه الكاردينال بهذه الزيارة السرية ؟

وأثناء مشيه هذا مر عدة مرات على الموقد القديم غير المستعمل حاليا ، وكانت ماسورة المدخنة المكسورة تمر عبر السقف وتتصل بموقد فى الغرفة العليا بدون شـــك •

وكان يتخيل ، كل مرة يمر على الماســـورة أنه سمع همهمة أصـــوات ، لذلك وقف وتنصت ، واثار ما سمعه اهتمامه ، لأنه أشار لاصـــدقائه بالهدوء . واقترب من ماســـورة المدخنة المكســورة ، فسمعوا الكاردينال يقول :

ـ اسمعى ياميليدى • ان هذا الموضوع مهم جدا •

ففكر آتوس :

ـ آه ! ميليدى !



واشار آتوس لأصدقائه ليلزموا الهدوء

وبعد ما وضع أذنه على الماسورة مباشرة استطاع أن يميز بوضوح كثيرا من المحادثة ·

وبعد دقائق قليلة أخذ رفاقه من أيديهم وقادهم الى الجانب الآخر فى الغرفة ، **وقال بورتس :**

ـ ماهو الموضـــوع ؟ لماذا لم تنصت لنهـاية المحادثة ؟

فقال آتوس فى همس :

ـ هس ! ·· لقد سمعت كل ما أريد سماعه ، عــلاوة عـــلى اننى يجب أن أذهب قبـــل أن ينزل الكاردينال ·

فقال بورتس :

ـ وماذا سنقول له اذا سأل عنك ؟

ـ لاتنتظروا حتى يسأل ، تكلما أولا · قولا له ، ذهبت قبلكم لأفتش لأننى لدى سبب فى الشــك فى

أمن الطريق . وسأبلغ مرافق الكاردينال نفس الشيء عند خروجي . ولا تقلقا علي أو بما سأفعله .

وعاد بورتس وأراميس الى مكانيهما قرب النار . وخرج آتوس ، وفك حصانه ، وشرح لمرافق الكاردينال لماذا هو ذاهب في مقدمتهم . واعتلى جواده ، وبسيف مسحوب ركض على طول الطريق الى المعسكر !



الفصل الحادى والعشرون

ميليدى تستقبل زائرا لاتتوقعه

لم يسر آتوس مسافة طويلة قبل أن يستدير فى الطريق ويعود الى مسافة قريبة من برج الحمام الأحمر ، ونزل من على جواده ، واختبأ خلف سـياج عال من الشجيرات ليس بعيدا عن الطريق · ولم ينتظر طويلا ، قبل أن يشاهد الكاردينال ورفاقه يمرون فى طريقهم عائدين الى المعسكر ، وسمح لهم بالسير حتى أصبحوا بعيدين عن مدى البصر قبل أن يمتطى جواده ، ويركض بسرعة عائدا الى الفندق ·

وفتح صـاحب الفنـدق الباب وتعرف عليه فى الحال ، فقال آتوس :

ـ لقد أرسلنى الضابط الذى زار لتوه السيدة التى بالطابق العلوى لأعود برسالة لم يعطها لها ٠

فأجاب صاحب الفندق :

ـ السيدة ما زالت فى غرفتها ٠ اصعد اليها ٠

وصـــعد آتوس فى الحـال ، ســائرا بخفة قدر المستطاع ، ورأى ميليدى من خلال الباب المفتوح ترتدى قبعتها ، فدخل الغرفة بلا صـوت وأغلق الباب خلفه بالمـزلاج ، فتسبب صــوت المزلاج فى تنبه ميليــدى والتفاتها ٠

وقف آتوس خلف الباب مغطى بعباءته ، وقبعته مشدودة تماما فوق عينيه ٠ فروع ميليدى هذا الشبح الصامت الثابت وكأنه تمثال ، **فصرخت :**

ـ من أنت ؟ وماذا تريد ؟

فتمتم آتوس :

ـ أجل ، انها هى !

وخطا نحوها خالعا قبعته ورافعا عباءته :

– هل تعرفيننى يا مدام ؟

تقدمت خطوة للأمام ، ثم تراجعت للخلف وكأنها شـاهدت ثعبانا ، ثم همهمت بعد أن تحول لونهـا الى أبيض شاحب :

– الكونت دى لافير !

فأجاب آتوس :

– أجل ، الكونت دى لافير بنفسه ، زوجـك . اجلسى ودعينا نتكلم كما قال الكاردنيال منذ برهة .

فجلست وهى مملوءة بالرعب ، حتى انها لم تنبس بكلمـــة .

فقال آتوس :

– لم أظن مطلقا بأن امرأة شريرة مثلك يمكن أن يكون لها وجود . لقد اعترضت طريقى ثانية . ظننتك

شـنقت فى أمان ، وتخلص العالم منـك · لابد أننى خدعت ، أو انك عدت حية من الجحيم ·

نكست ميليدى رأسها عند سماعها هذه الكلمات التى أعادت لها صور الماضى الرهيبة ·

واستمر آتوس :

ـ أجـل ، لقد منحتك الجحيم الحيـاة ثانية ، وأغدقت عليك بثروة ، واسما مغايرا ، ولكنها لم تنزع السواد من روحك ولا وصمة العار من فوق كتفك ·

فقفزت ميليدى واقفة فجـأة ، وعيناها تومضان بالغضب وجلس آتوس لا يتحرك **واستمر قائلا :**

ـ لقد ظننت أننى مت ، تماما كظنى بك ، واسم آتوس يخفى كونت دى لافير ، بصورة فعالة ، مثلما يخفى اسم ليدى ونتر آن دى برويل الذى كان اسمك قبل زواجنا ، أليس كذلك ؟

فقالت ميليدى فى صوت ضعيف مرتعش :

ـ ما ·· ما الذى جاء بك الى ؟ ماذا تريد منى ؟

– أريدك أن تعلمي ، رغم انى كنت مختفيا عنك ، فحياتك كانت كتابا مفتوحا لى .

– ماذا عرفت عنى ؟

– يمكننى أن أقول لك كل شىء فعلته يوما بيوم، من وقت ما دخلت فى خدمة الكاردينال حتى هذا المساء .

فضحكت ميليدى ، وكأنها فاقت من اغماءة ، واستردت بعض الثقة لظنها انه يبالغ .

فقال آتوس بحدة :

– انصتى . ليس لدى وقت لأعطيك كشفا بكل خطاياك أو لأصف لك حياتك الشريرة ، ومع ذلك ، فعندما كشف دارتنيان سرك المشين ، هل تنكرى أنك ، استأجرت رجلين ليتتبعانه ، وعندما لم تصبه رصاصاتهما مرتين أرسلت له نبيذا مسموما مع رسالة مزيفة ؟ ومنذ دقائق قليلة فقط ، وفى هذه الغرفة بالذات ، دخلت مع الكاردينال فى التزام بخصوص

موت دوق باكنجهام ، ومقابل هذه الخدمة سيسمح لك الكاردينال باغتيال دارتنيان ٠ « حياة مقابل حياة ، رجل مقابل رجل » ٠ هذه هى الكلمات التى استخدمتيها ، أليس كذلك ؟

فصرخت ميليدى ، الذى تحول وجهها الى شحوب الموتى :

ـ لابد أنك الشيطان نفسه !

فقال آتوس :

ـ ربما ، ولكن انصتى الآن بانتباه لما أقول ٠ افعلى ما يحلو لك بخصوص دوق باكنجهام ـ اغتاليه أو اعملى على اغتياله ، كل هـذا لا يهمنى ٠٠ فأنا لا أعرفه ، ولكنك اذا لمست بطرف اصبعك مجرد شعرة واحدة من دارتنيان ، أقسم باسم أبى أن تكون هذه الجريمة آخر جرائمك ٠

وبقى آتوس صامتا للحظات قليلة ، ناظرا بثبات الى ميليدى ، وازداد وجهه قسوة وتصميما ، ونهض من مقعده ببطء ، ثم وصلت يده الى مسدسه وسحبه ٠

بدا على ميليدى الشاحبة شحوب الأموات انها قد تحولت الى حجر • حاولت أن تصرخ ، ولكن لم يخرج أى صوت من حلقها ، ورفع آتوس المسدس ببطء وبسط يده ، وعندما صوب المسدس فى اتجاه ميليدى مباشرة تكلم آتوس بتصميم بارد ، **وكان صوته رهيبا فى نبرته :**

– اعطنى ورقة الكاردينال الموقعة فى الحال ، والا أطحت بمخك خارج رأسك !

قد تشك ميليدى فى كلام أى رجل الا فى كلام آتوس • فهى تعرف أنه رجل عند كلمته ، ورأت فى نظرة التصميم الذى على وجهه أنه على وشك اطلاق النار فعلا ، ، فسحبت الورقة بسرعة من جيبها ، وأعطتها له ، وفض آتوس الورقة وقرأ :

– ٣ ديسمبر ١٦٢٧ •

انه طبقا لأوامرى ، ومن أجل صالح الدولة ، فان حامل هذا ، قد قام بما قام به •

« ريشيليو »

وترك آتوس الغـــرفة ، بدون حتى أن ينظـــر خلفـــه ٠

وكان ينتظر خارج الفندق رجـلان على صـهوة جوادهما مع جواد اضـافى أرسـله معهما الكاردينال لقيادة ميليدى للميناء ٠

فقال آتوس وهو ذاهب نحوهما :

ـ يا سـادة ، لا تنسوا أن الأوامر أن تصحبوا السـيدة فورا الى الميناء ، ولا تتركوها الا وهى فوق السفينة ٠

وكانت هذه التعليمات تتفق مع التى استلماها من قبل فحيا الرجلان آتوس كعلامة للموافقة ٠

وقفز أتوس على حصانه وركض بسرعة ، وبدلا من أن يتبع الطريق العادى ، اتخـذ طريقا أقصر عبر الحقول ، وتوقف مرتين وتصنت ، ولكنه لم يسمع أى صوت ، ومع ذلك ففى المرة الثالثة ، سمع صوت الجياد

فعرف انهـا جيـاد الكاردينال ورجاله ، وليتجنبهم ، ركض حول منعطف الى مكان فى الطريق قبل المعسكر بمسافة قصيرة ، وهناك أسرع يمســح العرق من على حصانه ، واتخذ موقفا فى منتصف الطريق ، وانتظر ، ثم صاح عندما اقتربوا منه ركبوا الجياد :

– من يسير هناك ؟

فقال الكاردينال :

– هذا هو فارسنا الشجاع ، أليس كذلك ؟

وقال بورتس :

– أجل يا سيدى ، انه هو !

فقال الكاردينال :

– سيد آتوس . أشـكرك على حراستك الطيبة التى قمت بها .

ولما كانوا عند مدخل المعسكر الآن ، حيا الكاردينال الأصدقاء الثلاثة ، واتخذ الطريق الأيمن مع مرافقه ٠

فقال آتوس عندما سار الكاردينال وابتعد قليلا :

ـ معى الورقة التى وقع عليها ٠

ولم يقل الأصـدقاء الثـلاثة أى كلمة على طـول الطريق الى ثكناتهم ، فيما عدا كلمة السر للحراس ٠

الفصل الثانى والعشرون

رهان أحمق يعقد على هدف خطير

ارسل آتوس فى طلب دارتنيان عندما وصـــلوا الى ثكناتهم . ورأى آتوس أن التحدث بحرية حيث هم ليس بآمن ، لذلك قرر مع دارتنيان أن يتناولا افطارا مبكرا فى فندق القرية ، وينتحون مكانا منعزلا هناك ، ورفض آتوس أن يقول كلمة واحدة لدارتنيان حتى يصلا الى مكان يمكنهما ان يتحدثا فيه ، دون أن يسمعهما أحد ، وحيث يبدو لقاؤهما طبيعيا .

ولســـوء الحظ كان الفندق مكانا غير مناسـب للمحادثات الخاصة بسبب استمرار دخول رجـــال

الحرس والفرسان وجنود من فرق أخرى من أجل تناول الوجبات الخفيفة ، لذلك تخليا عـن فكرة المناقشـــة الخاصة بصفة مؤقتة واشتركا فى المحادثة العامة ·

وكان الحديث ، بصفة رئيسية ، عن هجوم اليوم السابق على الباستيون ، وأن قوات روشيل قد تـــم طردهم ، ولكن جنود الملك لم يبقوا فى الاحتـــلال بسبب الخطر من احتمال سقوط الجدران ·

وقال آتوس موجها كلامه الى أربعة ضـــباط من الحرس :

ـ يا سادة ، أريد أن أعقد رهانا · ســأراهن أن رفاقى الثـــلاثة وأنا معهم سـنتناول الافطـار فى الباستيون ، ونبقى هناك مدة ساعة كاملة ، رغم ما قد يفعله العدو ليجبرنا على المغادرة ·

فنظر بورتس وأراميس الى بعضـــهما نظـــرة العارفين ·

وقال مسيودى بوسينى ، واحد من الضباط :

ـ اراهن ، ولكن دعونا نحدد الرهان !

فقال آتوس :

ـ أنتم اربعة يا سادة ، ونحن أربعة ، فليكن عشاؤنا فى الساعة الثامنة هنا • موافقون ؟

فوافق الضباط الاربعة فى الحال •

ونادى آتوس على رجله ، جريمود ، وأشار الى سلة كبيرة فى الركن •

وفهم الرجل بأن عليه حمل الافطار الذى قد أحضره لتوه صاحب الفندق ، ثم انطلق الاصدقاء الاربعة وتابعهم جريمود الى الباستيون •

وعندما غادروا المعسكر التفت دارتنيان الى آتوس **وقال :**

ـ أخبرنى يا آتوس ، أين نحن ذاهبون ؟

– لماذا ، انك ترى بكل وضوح أننا ذاهبون الى الباستيون !

– أجل ، ولكن ماذا سنفعل هناك ؟

– نتناول الافطار !

فقال دارتنيان متضايقا بعض الشيء :

– لماذا ، ألم نفطر فى الفندق ؟ انك غامض جدا هذا الصباح !

فقال آتوس :

– لدينا أشياء هامة للمناقشة ، ومن المستحيل التحدث دقيقتين فى الفندق بدون مقاطعة ، أمـــا فى الباستيون فسنستطيع ، على الأقل ، أن نتكلم بحرية .

فقال دارتنيان :

– يبدو لى ، انه كان يمكننا أن نجد مكانا هادئا فى الحقول أو على طول شاطىء البحر .

فقال آتوس :

ـ سوف تتم ملاحظتنا نحن الأربعة فى الحال ، وسيبلغ الكاردينال خلال خمس عشرة دقيقة ، بواسطة جواسيسه بأننا نعقد مجلسا ٠

واستطرد آتوس قائلا :

ـ لقد عقدنا رهانا ، وأتحدى أى شخص سوانا أن يخمن الغرض الحقيقى له ، ولكى نكسب الرهان سنبقى ساعة كاملة فى الباستيون ، وسواء هاجمونا أم لا ، فلا يهم ، فسكون لدينا وقت للحديث ، وأنا متأكد أن تلك الجدران ليس لها آذان ٠ واذا هوجمنا فيمكننا أيضا أن نتحدث عن شئوننا ، وعلاوة على ذلك سنكلل أنفسنا بالمجد بالدفاع عن أنفسنا ٠٠ وهكذا كما ترى ، كل شىء فى صالحنا ٠

فقال دارتنيان :

ـ أجل ، ولكننا بالتأكيد سنجذب رصاصات بنادق العدو ٠

فقال آتوس :

– احتمال كبير ، ولكنك تعلم مثلى أن الرصاصات الأكثر ارهابا لا تأتى دائما من العدو .

فقال بورتس :

– كان يجب بالتأكيد أن نسلح أنفسنا لمثل هذا العمل الخطير .

فقال آتوس :

– سيكون حملا بلا جدوى . هل نسيت ما قاله لنا دارتنيان عن هجوم الامس ؟

فسأل بورتس بحدة :

– ماذا قال ؟

فقال آتوس :

– قتل فى هجوم أمس ثمانية أو عشرة جنـــود وكثيرون من رجال روشيل فى الباستيون .

ـ حسن ؟

فاجاب آتوس :

ـ لم يدفنوا ، ولم تجمع اسلحتهم ، وهكذا سنجد بنادقهم وبارودهم ورصاصهم ٠

ووصلوا ، عندئذ ، الباستيون ، والتفوا منعطفين فشاهد الأربعة ثلاثمـائة جنــدى ، على الأقل ، فى مجموعات صغيرة ، على طول معسكرهم ، وتعرفوا عـلى مسيودى بوسينى وأصدقائه الثلاثة فى مجمــوعة منفصلة ٠

وخلع آتوس قبعته ، ووضعها على نهاية ســيفه ولوح بها فى الهواء ، وعندما دخلوا الباستيون استطاع الأربعة أن يسمعوا الهتافات البعيدة للجنود ٠

الفصل الثالث والعشرون

الأربعة يعقدون مجلسا تحت ظروف صعبة

وكما كان متوقعا ، عثر المغامرون الاربعة عـــلى دستة من جثث الموتى ممددة حيث ســـقطت داخـــل الباستيون ، فجمعوا البنادق الاثنى عشر فى الحال ، وحشوها ، استعدادا لأى هجوم ممكن ، وعندما انتهوا من ذلك ، اعلن جريمود بأن الافطار جاهز ٠

جلس الاربعة على الارض ، حـول الافطار الذى وضعه جريمود على مفرش مائدة أبيض ، وأعطى آتوس لرجله نصيبه من الأكل ، وأمره بالحراسة ٠

فقال دارتنيان :

– والآن ، لا يوجد أى خوف من التصنت ، لذا آمل أن تبوح لى بسرك ·

فقال آتوس :

– السر هو أننى رأيت ميليدى ليلة أمس ·

– رأيت زوج ·· !

فقاطعه آتوس :

– هس ! ·· هل نسـيت أن هـؤلاء السادة لا يعرفون شيئا عن موضوع اسرتى · لقـد رأيت ميليدى ·

فسأل دارتنيان :

– أين ؟

– فى فندق برج الحمام الأحمر ·

فقال دارتنيان :

– اذن لقد ضعت ·



جلس الأربعة عل الأرض ليتناولوا افطارهم

فقال آتوس :

ـ أوه ، كلا ! ان الموضـوع ليس بهذا السوء يا صديقى ، ومن المحتمل أن تكون قد غادرت شواطىء فرنسا الآن ٠

فأصدر دارتنيان تنهيدة ارتياح ٠

وسأل بورتس بصوته العميق :

ـ من هى ميليدى ؟

فقال آتوس :

ـ امرأة فاتنة ٠ امرأة فاتنة جدا ، ويبدو أنهـا تحب دارتنيـان جدا لدرجة أنهـا اسـتأجرت رجلين لاغتياله ، وحاولا مرتين وفشلا ، ثم بعثت له بهـدية سارة من النبيذ المسموم الذى ، على فكرة ، كدنا أن نشاركه فى شربه ، وطالبت برأسه من الكاردينال ليلة أمس ٠

فصاح دارتنيان الذى شحب لونه :

ـ مستحيل !

فاضاف بورتس :

– أجل ، هذا حقيقى ، لقد سمعتها بأذنى !

فقال أراميس :

– وأنا أيضا ·

فقال دارتنيان واهن الهمة تماما :

– اذن ، لا فائدة فى أن أقاوم بعد ذلك ، وقد أفجر رأسى ، وينتهى كل شيء !

فقال آتوس :

– هذا غباء تام · حيث لا يوجد علاج من ذلك·· يالسماء ! جريمود يعطى اشـــارات باننا نتوقع زوارا ·

بعث جريمود بالاشـــارة أن العدو يقترب من الباستيون ·

فقال آتوس :

– كم عدد الرجال ؟

– عشرون ·

ـ من أى نوع ؟

ـ ستة عشر عاملا وأربعة جنود ٠

نهض آتوس ، أمسك ببندقية محشوة واقترب من فتحة فى الجدار ، وقام بورتس وأراميس ودارتنيان بنفس الشىء ، ووضع جريمود نفسه فى خدمتهم خلفهم مباشرة ، مستعدا لاعادة حشــو الأسلحة حالما ينتهون من اطلاقها ٠

واقترب العدو داخل الخندق الطويل الذى يصل المدينة بالباستيون ، ووقف آتوس بشكل واضح تماما لمراقبتهم ٠

فصرخ دارتنيان :

ـ انتبــه يا آتوس ! الا ترى أنهــم يصوبون عليك ؟

وبالفعل أطلق الجنود الأربعــة النيران فى هذه اللحظة وأصابت طلقاتهم الحائط بجوار آتوس ، ولكن

لم تمسه رصاصــة واحدة ، فأجابوا بأربــع طلقـات بتصويب جيد ، فسقط ثلاثة جنود قتلى وجرح عامل، وغيروا بنادقهم بسرعة وأطلقوا ثانية ، فسقط فى هذه المرة الجندى الآمر ، واثنين من العمال أمواتا ، وعندئذ فر بقية الرجال هاربين .

فصاح آتوس :

ـ والآن يا سادة ، دعونا نطاردهم .

اندفع الأربعة الى خارج الباستيون نحو ميدان القتــال ، ولكنهــم تأكدوا فى الحــال أن الأعداء لن يتوقفوا حتى يصلوا الى أمان المدينة . وهكذا جمعــوا بنادق الجنود الأربعة القتــــلى وعادوا منتصرين الى الباستيون !

وقال دارتنيان :

ـ أذكر أنك قلت بأن ميليدى قد تكون غادرت شواطىء فرنسا حاليا . الى أين ؟

ـ انجلترا ·

ـ ما هو هدفها ؟

قال آتوس :

ـ هدفها اغتيال أو التحريض على اغتيـال دوق باكنجهام ، ولكن هذا لا يزعجنى على الاطلاق ·

ثم قال ملتفتا الى رجله :

ـ جريمود ، اربط مفرش المائدة فى عـامود وضعه فى مكان ليرفرف منه فوق الباستيون · سيبين هذا للعدو أن لديهم عملا مع جنـود شجعان مخلصين للملك ·

فأطاع جريمود ، وعلى الفور أصبح العلم الابيض يتموج عاليا من فوق الابطال الاربعة · وحيت ظهـوره هتافات بعيدة من المعسكر ·

واستمر الأصدقاء الأربعة مع افطارهم ومحادثتهم عن ميليدى ·

ولقد ارتعشت يدا دارتنيان عنـــدما فض وقرأ الورقة التى أخذها آتوس من ميليدى جبـــرا ، وقال وكأنه قرأ بها الحكم باعدامه :

– يجب اعدام هذه الورقة !

فقال آتوس :

– أوه كلا ! هذه الورقة أهم بكثير مما تعتقد .

فسأل دارتنيان :

– ولكن ما الذى ستفعله هى الآن ؟

فقال آتوس :

– تفعل ؟ بدون شك .. ستكتب للكاردينال قائلة ان فارسا ملعونا يدعى آتوس أجبرها أن تتخلى عن الورقة الحامية ، ومن المحتمل أن تنصحه بالتخلص من الصديقين أراميس وبورتس ، فى نفس الوقت . وسيتذكرنا ، حيث اننا اعترضنا طريقه اكثر من مرة وصباح أحد الأيام الجميلة عنـــدما يتم القبض عـــلى

دارتنيان ، ويلقى في السجن ، سيتم ارسالنا للحاق به وللابقاء على الصحبة ·

فقال دارتنيان :

ـ عندى فكرة ·

فسأل الثلاثة الآخرون في صوت واحد :

ـ ما هى ؟

فقاطعهم جريمود صارخا :

ـ الى السلاح !

فقفز المغامرون الاربعة واقفـــين ، وأمســـكوا ببنادقهم ·

كانت قوات العدو ، هذه المرة ، نحـــو عشرين أو خمسة وعشرين تقريبـا · كلهم جنود مسلحون ، وليسوا عمالا · فقال بورتس :

ـ هل نعود الى المعسكر ؟ لا أعتقـد أن الجانبين متكافئان ·

فاجاب آتوس :

ـ هذا مستحيل لثلاثة أسباب ٠٠ أولا ، لـــم نته الافطار بعد ٠٠ ثانيا ، لدينا بعض الموضـــوعات الهامة جدا لمناقشتها ٠٠ ثالثا ، مطلوب عشر دقائق لاتمام بقائنا ساعة ٠

فقال آراميس :

ـ فى هذه الحالة ٠ دعنا نجهز خطة للمعركة ٠

فقال آتوس :

ـ لا يوجد أبسط من ذلك ٠ حالما يأتون فى مدى التصويب ، سنطلق النار ٠ واذا استمروا فى التقدم فسنطلق النار ثانية ، ونستمر فى ذلك طالما لدينـــا بنادق محشوة ، واذا ثابر الباقون فى هجـــومهم ، فسنسمح لهم بالوصول الى الخندق السفلى ، ثم ندفـــع اليهم بالحائط ، الذى يبدو قائما بمعجزة ٠

وافق الجميع على هذه الخطة الممتازة ، ثم صوب كل واحد منهم على جندى مختلف ٠

وصاح آتوس :

ـ اضرب !

وانطلقت البنادق الأربع فسقط جنود أربعة . وازدادت ضربات طبول العدو سرعة ، وتقدمت القوات الصغيرة فى هرولة ، واستمر المهيمنون على الباستيون الاربعة فى اطلاق النار ، واستمر الجنود فى السقوط .. ولازالت القوات تتقدم .

ووصلت دستة من الجنود الى الخندق أخيرا ، فى أسفل جدران الباستيون واستعدوا فى الحال للتسلق بدون توقف .

فصاح آتوس :

ـ والآن ، الجدار ! الجدار !

فاندفع الاربعة مع جريمود نحو الجدار الضخم ، الذى كان مائلا جهة الخارج ، وأخذوا يدفعون ببنادقهم عليه ، حتى سقط الى أسفل الباستيون مرتطما فى

صوت مرعب على الخندق بمن فيـــه ، فعلت صرخات الجنود الذين وقعوا فى الشرك بصورة مخيفة ، وارتفعت سحابة من الغبار ، ثم بدا الصمت الذى تلى ذلك غير طبيعى ٠

فقال آتوس :

ـ أتساءل ، اذا كنا قد حطمناهم جميعهم ٠

فقال دارتنيان :

ـ يبدو ذلك ٠

فصاح بورتس :

ـ كلا ! هناك ثلاثة أو أربعة يزحفون بعيدا !

كان هناك ، فى الحقيقة ، أربعة جنود ســـيئى الحظ ملطخين بالدماء يشقون طريقهم بألم على طـــول الخندق ، عائدين الى المدينـة ٠٠ وكانوا الاحيـــاء الوحيدين الذين بقوا من القوة المهاجمة ٠

الفصل الرابع والعشرون

خاتم يأتى بحل لمشكلة عويصة

قال آتوس :

ـ ياسادة ، لقد بقينا فى الباستيون ، ساعـــة كاملة ، ولقد كسبنا الرهان · ولكننا لا نستطيع الذهاب حتى يخبرنا دارتنيان بفكرته !

فقال دارتنيان :

ـ فكرتى ·· الذهـــاب الى انجلترا ، وتحـــذير باكنجهام · لقد ظللت هناك مدة ، ولقد كان عليه أن يشكرنى كثيرا من أجل ما تم فى موضوع جواهر الملكة ·

فقال آتوس :

ـ كلا ، لا تستطيع أن تفعل ذلك يا دارتنيان ٠٠ عند ماذهبت من قبل ، لم نكن فى حرب مع انجلترا ، أما الآن ، فنحن فى حرب ، وهو عدو لنا ٠ وزيارتك له قد تصل الى حد الخيانة ٠

وبعد قليل انقطعت المحادثة مرة أخرى ٠ بسبب صوت انذار عام فى المدينة ٠

فقال آتوس :

ـ يبدو وكأنهم سيرسلون فرقة كاملـة ضـدنا ٠ دعهم يأتون ٠ انها مسيرة ربع ساعة من المدينة ٠ وأثناء ذلك ، يمكننا بالتأكيد أن نخرج بخطة ما ٠ واذا تركنا هنا ، فلن نجد مكانا آخر ملائما كهذا ، آه ! انتظر لحظة ٠٠ عندى فكرة ٠

ثم نادى جريمود ، وأشار على التوالى ، أولا ، الى جثث الموتى من الجنود الموجودين فى الباستيون ، ثم الى الجدران ، ثم الى قبعاتهم وبنادقهم ٠

فصرخ دارتنيان :

ـ اوه ، يا للرجل العظيم ! الآن فهمت ٠

فقال بورتس :

ـ أنت ! فهمت ؟

فقال أراميس :

ـ هل فهمت يا جريمود ؟

كان جريمود قد بدأ فى العمل والتنفيذ بالفعل .

فقال آتوس :

ـ والآن ، من أجل فكرتى . هذه السيدة ميليدى ، هذه المخلوقة ، هذه المرأة الشريرة لها أخ لزوجها ، أليس كذلك يا دارتنيان ؟

ـ أجل ؛ أعرفه جيدا ؛ وأعرف أيضا أن عاطفته نحو زوجة أخيه ليست ودودة .

فأجاب آتوس :

ـ اذا كان يكرهها فهذا أفضل .

فقال بورتس :

ـ ومع ذلك ! أود أن أعرف ما يفعله جريموذ ؟

فقال اراميس :

ـ اسمع يابورتس ·

فقال آتوس :

ـ ما اسم أخ الزوج هذا ؟

ـ لورد ونتر ·

ـ وأين هو الآن ؟

ـ لقد عاد الى انجلترا منذ أول اشارة للحرب ·

ـ حسن ، دعنا نحذره من زيارتها ومن غرضها ·· بالتأكيد سيستطيع أن يجد مكانا ما يمكن أن يسجنها فيه ، وعندئذ سنكون فى سلام ·

فقال بورتس :

ـ بالرغم من أننا لا نستطيع أن نترك المعسكر للذهاب الى انجلترا ، ولكن يمكن ارسال رجالنا ·

فقال اراميس :

ـ بالطبع يمكنهم · دعنا نكتب رسالتنا ؛ ونزود رسولنا بنقود كافية ، ويمكنه أن يبدأ رحلته اليوم ·

فسأل آتوس :

ـ نقود ؟ هل معكم أى نقود ؟

ونظر الأربعة لبعضهم البعض بوجوه عابسة ، عالمين أن الأربعة جميعهم لا يستطيعون توفير المبلغ الكافى للرحلة .

فصرخ دارتنيان قافزا على قدميه :

ـ انتبهوا ! هل تحدثت عن فرقة يا آتوس ؟ لماذا ، فهناك جيش يتقدم !

فقال آتوس :

ـ بشرفى ! انك على حق ، جريمود ، هل انتهيت ؟

فأشار جريمود الى دستة الجثث التى وضعها مقابل الحائط ، والبعض يحمل البنادق ، والبعض الآخر يبدو وكأنهم يصوبون على أهداف .

فصرخ آتوس :

ـ برافو ! هذا يدل على أن لك خيـــالا عظيما يا جريمود ٠

فقال بورتس :

ـ كل هذا جميل جدا ، ولكنى أحب أن أفهم !

ـ دعنا نخرج من هنا وستفهم فيما بعد ٠

كان جريمود قد خرج بالفعل مع سلة الافطار ، ثم غادر الأصدقاء الأربعة ، ولكن عندما وصلوا للخارج توقف آتوس مترددا ٠ فسأل أراميس :

ـ هل نسيت أى شيء ؟

ـ العلم ! يجب ألا نترك العلم فى أيدى الأعداء ، حتى ولو كان مفرشا لمائدة ٠

وركض ثانية الى الباستيون ، وتسلق الى القمة ، وأنزل المفرش ٠ كان العدو ، فى هذا الوقت ، على مدى

مرمى البندقية ، ولذلك عندما شاهدوا رجـــلا يعرض نفسه لهم بحماقة ، أطلقوا النار عليه ٠

ولم يصب آتوس ، اذ يبدو أنه يحمل تعويـــذة للحياة ، ومع ذلك مرت ثلاث رصاصات عبر المفرش فجعلت منه راية حقيقية ٠

وتسلق آتوس نازلا الى أن التحق بأصدقائه الذين انتظروه فى هدوء ، وأداروا ظهورهم الى الباستيون ، واتجهوا نحو المعسكر فى خطوات بطيئة ٠

وبعد برهة وجيزة سمعوا اطـلاق نار متواصـل وسريع ٠

فصرخ بورتس :

– ما هذا ؟ على ماذا يطلقون النار الآن ؟ فلا تأتى طلقات فى اتجاهنا ، ولا أستطيع أن أرى أحدا !

فقال آتوس :

– انهم يطلقـــون النار عـــلى الجنود المـوتى فى الباستيون ٠

ـ ولكن الموتى لا يقدرون على الرد بالمثل ٠

ـ بالطبع لا ، ولكن عندما يكتشف الجيش الخدعة، سنكون فى أمان ، بعيدين عن مرمى بنادقهم ٠

وهذا هو السبب فى أننا لسنا فى حاجة للجرى حتى لا نصاب بالبرد ٠

فقال بورتس المذهول :

ـ آه ٠٠ والآن فهمت !

فقال آتوس بهزة بطيئة من رأسه :

ـ أخيرا !

ومع ذلك بدأت ، فى الحال ، تنهال الطلقات على المغامرين الأربعة ، اذ بدأ العدو يأخذ الآن مواقعه فى الباستيون ٠ **فقال آتوس :**

ـ بشرفى ! انهم جنود مساكين ٠ أتساءل كم قتلنا ! دستة ؟

ـ أو خمسة عشر ٠

ـ كم سحقنا تحت الجدار ؟

ـ ثمانية أو عشرة ٠

ـ وبالمقابل لم نصب بخدش ٠٠ ولـكن ماذا فى يدك يا دارتنيان ؟ يبدو أنها تدمى ٠

فقال دارتنيان :

ـ أوه ، لا شيء ٠٠ لقـــد انحشر اصـبعى بين حجرين ، حجر فى الحائط وحجر فى خاتمى ، فانتزع الجلد ٠ هذا كل شيء ٠

فقال آتوس :

ـ هذه نتيجة لبس الماس يا صديقى الشاب ٠

فصرخ بورتس :

ـ لماذا ! طبعا توجد الماسة ٠٠ لماذا نزعج أنفسنا بخصوص النقود ، ومعنا ماسة ٠

فقال آتوس :

ـ فكرة حسنة من بورتس ، هذه المرة ٠

فقال بورتس وهو سعيد جدا لسماع اطراء آتوس :

ـ بالتأكيد ، وحيث لدينا ماسة فدعنا نبيعها ٠

فقال دارتنيان :

ـ ولكنها الماسة التى أعطتها لى الملكة ٠

فقال آتوس :

ـ وهذا سبب قوى يجعلنا نبيعها من أجله ، ألسنا ذاهبين لانقاذ صديق الملكة ، دوق باكنجهام ؟ ماذا تظن يا أراميس ؟ لقد أعطانا بورتس رأيه من قبل ٠

فأجاب أراميس فى صوت منخفض لطيف :

ـ طالما أن الخاتم لم يمنح كرمز للصداقة ، ولكن ببساطة كجائزة لخدمات قيمة ، فلا أرى أى سبب يمنع بيعه ٠

فقال آتوس :

— عزيزى أراميس ، انك تتكلم كراهب المستقبل ، نصيحتك هي — ؟

فأجاب أراميس :

— بيع الماسة !

فقال دارتنيان :

— حسن جدا ، دعونا نبيع الماسة ·

فقال آتوس :

— والآن ياسادة ، اننا تقريبا وصلنا المعسكر ، فلا كلام في موضوعنا ·

الفصل الخامس والعشرون

يحقق دارتنيان أعظم أمنياته ، وأراميس يكتب رسـالة صـعبة

وقف آلاف من الجنود على مشارف المعسكر ، وكانت هتافاتهم تملأ الهواء أثناء عودة أصدقائنا الأربعة من مغامراتهم المجيدة ، حتى ولو كانت حمقاء ، والتى لا يرتاب أحد فى الدافع الحقيقى لهـا ٠٠ ولفترة من الوقت لم يسمع الا « عاش الفرسان » ، « عـاش الحرس » ، وأصبحت الضجة فى الحقيقة مرتفعة جدا ، لدرجة أن الكاردينال أرسل رئيس حرسه ليرى ماذا يدور ٠

وبعد قليل عاد الرئيس بالأخبار ٠ **قال الرئيس :**

ـ ثلاثة من الفرسان ، وواحد من رجال حرس مسو ديزيسارت يا سيدى ، عقدوا رهانا مع مسيـــو دى بوسينى على أن يفطروا فى الباستيون ، ويبقوا هناك لمدة ساعة ، بل يبدو أنهم لم يبقوا هناك ساعة واحدة بل اثنتين وهيمنوا على الباستيون ضد عدة هجمات من قبل العدو ، وقتلوا لا أدرى كم ٠

ـ هل حصلت على أسماء هؤلاء الفرسان الثلاثة ؟

ـ أجل يا سيدى ، انهم السادة : آتوس ، بورتس. أراميس ٠

فهمهم الكاردينال لنفسه :

ـ هؤلاء الثلاثة مرة أخرى ٠٠ ورجل الحرس ؟
ـ مسيو دارتنيان يا سيدى ٠

ففكر الكاردينال :

ـ آه ! فى الحقيقة ٠٠ يجب أن أضـــم هؤلاء الرجال فى خدمتى ٠

وفيما بعد ، تحدث الكاردينال ، أثناء النهار ، مع مسيو دى تريفى عن مغامرة الصباح · كان لا يستطيع تجنب ذلك ، حيث انه كان حديث المعسكر كله · ووصل لمسيو دى تريفى بيان بالموضوع كلـــه ، من الأصدقاء الأربعة ، فأعاد القصة بالتفصيل الكامل ، ولم يغفل الجزء الخاص بالمفرش ، الذى استخدموه كعلم ·

فقال الكاردينال :

ـ ممتاز · من فضلك دعهم يرسلوا لى المفرش ، سأجعلهم يطرزون عليه ثلاث زهرات سوسن بالذهب، لأقدمه الى سريتكم ـ سرية الفرسان ـ كعلم ·

فقال مسيو دى تريفى بدون تردد :

ـ هذا سيكون اجحافا برجال الحرس ، فمسيو دارتنيان ليس معى ، بل يخدم فى الحرس ، تحت امرة مسيو ديزيسارت ·

فقال الكاردينال :

ـ حسن ، اذن نصبه « فارسا » · طالما أن الرجال الأربعة مرتبطون هكذا مع بعضهم البعض ، فليس من العدل الا يخدموا سويا ·

وعندما سمع دارتنيان الخبر ، كاد يطير من الفرحة ، فحلم حياته أن يكون فارسا ، ولم يقل اصدقاؤه الثلاثة سعادة عنه ·

قال دارتنيان :

ـ ياللسماء ! آتوس ، لقد كانت فكرتك أفضل من ظنك بها · لقد كللنا المجد ! انني فارس ! وكنا نعقد محادثاتنا سرا ·

فقال آتوس :

ـ أجل ، والآن ؛ يمكننا أن نكملها بدون أن يرتاب في أمرنا أحد وفي ذلك المساء قدم دارتنيان نفسه الى مسيو ديزيسارت ؛ قبل أن ينتقل الى الفرسان ، وفكر

مسيو ديزيسارت فى دارتنيان كثيرا ، وعرض أن يقرضه نقودا لتغطية تكاليف الزى الجديد ، والضروريات الأخرى ، وشكره دارتنيان ، ولكنه رفض المساعدة .. ومع ذلك ، انتهز الفرصة ليسأل مسيو ديزيسارت أن يثمن له الماسة ، لأنه يرغب فى بيعها .

وبعد ظهر اليوم التالى زار مرافق مسيو ديزيسات دارتنيان وسلمه حقيبة تحتوى على سبعة آلاف من الجنيهات ، ثمنا لخاتم الملكة الماسى .

وبعد ذلك بليال قليلة اجتمع الأصدقاء الأربعة لينهوا محادثاتهم الخاصة ، وبقى فقط أن يكتبوا الرسالة ، وقرروا أيا من رجالهم سيأخذها .

وبعد كثير من المناقشات والمداولات ، تركوا كتابة الرسالة لأراميس أستاذ وراهب المستقبل ، فكتب ما يلى :

سيدى اللورد ٠

كان للشخص الذى يكتب لك هذه السطور القليلة الشرف فى المبارزة بالسيف معك فى تحويطة صغيرة خلف اللوكسمبرج ٠ ولما كنت اعلنت عدة مرات ، منذ ذلك الحين ، بانك نفسك صديق لهذا الشخص ، فكر أنه من واجبه ، مقابل هذه الصداقة ، أن يرسل لك معلومة هامة ٠ كنت ذات مرة على وشك أن تكون ضحية لقريبة لك ، تعتقد أنها وريثتك ، لانك لا تعلم أنها قبل زواجها فى انجلترا كانت متزوجة فى فرنسا ٠ ولكنك فى هذه المرة ، قد تفقد حياتك ٠ لقد تركت قريبتـــك روشيل الى انجلترا خلال الليل ٠ راقب وصولها ٠ لأن لديها خططا كبيرة ومخيفة ٠ اذا أردت أن تعرف وتتأكد من مقدرتها فلتقرأ تاريخها الماضى على كتفها الأيسر ٠

واتخذوا القرار بارسال بلانشيت ــ رجل دارتنيان ــ بالرسالة الى لندن ــ فنادوا على بلانشيت ، وأعطـوه التعليمات مع سبعمائة جنيه للرحلة ، ووعدوه بسبعمائة أخرى عند عودته ٠

وقال له دارتنيان :

ـ والآن ، لديك ثمانية أيام لتصل الى اورد ونتر ، وثمانية أيام للرجوع ، واذا لم تعد بعد ستة عشر يوما من بعد غد فى الساعة الثامنة مساء ، حتى ولو خمس دقائق متأخرا ، فلن توجد نقود لك ·

فقال بلانشيت :

ـ اذن ، لا بد أن تشترى لى ساعة ·

فقال آتوس بكرم ، معطيا له ساعته :

ـ خذ هذه ، ولكن تذكر اذا تكلمت ، اذا شربت ، فستضع سيدك فى خطر · وتذكر أيضا ، اذا حدثت أى بلية لدارتنيان بسبب أى غلطة منك فسأجدك فى أى مكان ستكون فيه وأمزقك اربا ·

فقال بورتس وهو يلف عينيه الواسعتين :

ـ وتذكر ، سأسلخ أنا جلدك حيا ·

وقال أراميس ببطء فى صوته الهادىء اللطيف :

ـ وأنا سأشويك فوق نار بطيئة ٠

وأخذ دارتنيان رجله للخارج ، وتكلم معه بهدوء ، ولكن بجدية :

ـ أنت تعرف أصـــدقائى الثلاثة جيدا ، انهم يتحدثون بهذه الطريقة فقط ، بسبب عاطفتهم نحوى ٠

فأجاب الرجل والدموع فى عينيه :

ـ آه ياسيدى ٠ سأنجح ، والا سأقتل ٠

فقال دارتنيان :

ـ اذهب الآن ، وارتاح ٠ واحفظ الرسالة عن ظهر قلب وبعد ذلك خيطها فى بطانة سترتك ٠

وفى اليوم التالى ، عندما كان يتأهب للذهاب ، أخذه دارتنيان جانبا **وقال له :**

– والآن ، انصت بعناية .. عندما تسلم الرسالة للورد ونتر ، ويقرأها ستقول له : (اسهر على دوق باكنجهام ، لانهم يرغبون فى اغتياله) . هذه يابلانشيت خطيرة جدا ، وسرية جدا ، وتستحق أكثر من حيـاتى لكتابتها ، ومع ذلك ، أنا أثق فيك عليها .

فأجاب بلانشيت :

– كن متأكدا يا سيدى ، سوف ترى أنك لم تخطىء فى موضع ثقتك .

وفى تمام الساعة الثامنة من مساء اليوم السادس عشر ، بعد مغادرته ، سلم بلانشيت نفسه ثانية لسيده ، ودس فى يده التعليق .

وهمس دارتنيان لأصدقائه :

– معى التعليق .

فقال آتوس :

– رائع ، دعنا نذهب البيت ونقرأه .

كان التعليق يتكون من نصف سطر ، مكتوب بخط انجليزى واضح :

ـ « شكرا لك ، لا تقلق » !

وأخذ آتوس بالتعاليق ، وألقى به فى النار ، وانتظر حتى احترق وتحول الى رماد ·

وقال دارتنيان لبلانشيت :

ـ اذهب لفراشك ، واخلد للنوم ·

ـ أجل يا سيدى ، وستكون أول مرة أفعل ذلك منذ ستة عشر يوما ·

فقال دارتنيان :

ـ وأنا أيضا ·

وقال بورتس :

ـ وأنا أيضا ·

وقال أراميس :

ـ وأنا أيضا ·

وقال آتوس :

ـ حسن ، اذا أردتم الحقيقة ، وأنا أيضا !!

الفصل السادس والعشرون
العدالة

استلم لورد ونتر الرسالة التى حملها له بلانشيت فى وقت مناسب له ، ليشدد المراقبة على ميليدى فى جميع الموانى الجنوبية لانجلترا ٠ وعند وصـولها تم اعتقالها فى الحال ، وسجنت بموافقة دوق باكنجهام فى احدى قـلاع لورد ونتر ٠ ولم يكن لورد ونتر يدرك تماما أى نوع من النساء كانت ميليدى ، ولو كان يعرف لما تركهـا تبعد عن بصره مطلقـا ، ولكان قيد يديهـا وقدميهـا بالسلاسـل فى الحـائط ولاحتفظ بمفـاتيح زنزانتها لديه ٠

ففى أقل من أسبوع هربت ميليدى من سجنها مع سجانها ، مستر فيلتون ، الضابط الصغير فى البحرية سابقا ، وفى الفجر التالى ليوم هروبها ، كانت على ظهر السفينة المتجهة الى فرنسا ٠

لقد وضع لورد ونتر ، مستر فيلتون كمسئول وحيد عن أسرها ٠ وكان من واجبه الاشراف على وجباتها بشكل شخصى ، ومراقبة الحراس، ويعمل على أن يتغيروا كل ساعتين ، ويحتفظ بمفاتيح زنزانتها دائما فى حوزته ٠ اكتشفت ميليدى فى الحال أن فيلتون كان يكره دوق باكنجهام كالسم ، لأنه ــ لسبب ما ــ قد عارض فى ترقيته فى البحرية ، وبالتالى أجبره أن يخدم على الشاطىء ، وبسرعة أشعلت هذه الكراهية وحولتها الى لهيب ، وتظاهرت بأنها أيضا كانت احدى ضحاياه ٠ كانت قصتها أنها أجبرت على الحضور لانجلترا بواسطة خدعة ، وأسرت وسجنت افتراء بناء على أوامر الدوق لأنها رفضت أن تتزوجه ، وكان من الواضح أن الدوق يستعد لتعذيبها حتى ترضخ ٠

وبسرعة كسبت مواساة السجين الشاب بجمالها ، ودموعها ، وكذباتها ، بل أصبح هو نفسه متيما فى حب سجينته الجميلة بشكل أعمى . وبعد ذلك ، لم تأخذ وقتا طويلا فى اقناعه بأن يقتل الدوق سيء السمعة . وبذلك سيكون قد أدى عملا نبيلا ، وسينقذ شرف فتاة عاجزة بريئة ، وفى نفس الوقت يحرر انجلترا من رجل ظالم قاس .

كان هناك تأخير عدة ساعات قبل ابلاغ لورد ونتر بهروبها وبالغياب الغريب لفيلتون ، فأرسلت الأخبار فورا الى باكنجهام لتحذيره من الخطر ، ولـــكن فات الأوان ، فالوقت كان متأخرا جدا ، فالقاتل فيلتون ، كان قد ارتكب جريمته الفظيعة ، وهكذا ، رغم سجنها حققت ميليدى مهمتها ، وكانت المذنبة الفعلية للجريمة ، وكأن السكين القاتل كان فى يدها .

وابحر لورد ونتر فى نفس اليوم الى فرنسا ، لملاحقة ميليدى . لم يكن صعبا عليه أن يتتبع تحركات مثل هذه المسافرة جميلة المحيا ، والتى تدفع بالذهب مقابل الخدمات فى مختلف الفنادق التى كانت تتوقف

عندها ٠٠ ولكنه فقد أثرها عند وصوله الى بيثونى ٠ فقد كانت قد غادرت الى ارمينديرى ٠ انما ، وكأنها يد القدر التى جمعت آتوس وبورتس وأراميس ودارتنيان، فقد كانوا فى بيثونى لمهمة خاصة ، فأخبرهم لورد ونتر بكل ما حدث ٠ وقال :

ـ وهكذا ، كما ترون ، يجب اتخاذ اجراءات القبض على هذه المرأة الشريرة ، وعقابها فى أقرب وقت ممكن ، وهذا واجب على أنا أن أقوم بتحقيقه ، حيث اكتشفت أخيرا ، بأنها هى التى تسببت فى موت أخى عن طريق تسميمه ٠

وقامت عاصفة فى تلك الليلة ، وخرج آتوس رغم المطر الغزير بمفرده فى الظلام ، وقام بزيارة غامضة بالقرية ٠ وتأخر الاقلاع لارمينتيرى فى اليوم التالى لفترة غير طويلة ، وصل خلالها رجل طويل ملثم ، يرتدى عباءة حمراء طويلة وكان يعرفه آتوس ، ولكنه لم يقم بتقديمه لأحد ، ولما كان آتوس يترأس الفرقة حاليا ، فلم توجه اليه أية أسئلة ٠٠٠ وساروا فى صمت عبر الوحل العميق والمطر الغزير ٠

وانتهت ملاحقة ميليدى فى وقت متأخر من تلك الليلة عند ارمنتيرى . لقد انعقدت محاكمتها فورا من غير الرسميات العادية ، وكان الشهود هم : آتوس وبورتس وأراميس ودارتنيـان ولورد ونتـر والرجل الطويل الملثم ... وصدر الحكم ــ الموت على يد الجلاد العام .

كان الوقت قد اقترب من منتصف الليــل عندما انطلقت الفرقة مع ميليدى ، فى آخر رحلة تقوم بها فى هـذا العـالم .. وهدأت العاصـفة ، وكأن الطبيعة نفسها قد رضيت أخيرا لأن العدالة ستقوم .. وظهر القمر المتعب الكامد ، الذى لا يزيد عن هلال أحمر بلون الدم فى الأنفاس الأخيرة للعاصفة الراحلة مشنوقا على ارتفاع منخفض فى السماء ، مقابل خلفية من الضوء الباهت ، والهياكل المظلمة لمنازل ارمنتيرى ، التى يمكن بالكاد تمييزها .

وعلى بعد مسافة قصيرة أمام الفريق الصامت ، تفيض ببطء المياه المتعضة لنهر ليز ، وكأنه نهر من

رصاص · وكان يحف بالضفة الأخرى البعيدة ، حشد من الأشجار تجاه سماء مازال نصفها مملوءا بالسحب المتكسرة العاكسة لضوء القمر والتى تلمع بنوع من البرق مخيف ·

وتقبع فى حقل على يسار الطريق طاحونة هواء قديمة مهجورة ، لها ذراع واحد عملاق لا حراك فيه كان يتجه الى أعلى ، تماما مثل أصبع اتهام ضخم للعالم أجمع ·· وأصدرت ، من بين الأطلال ، بومة منعزلة صرخة حداد مريبة متقطعة ·· وكانت ، على يمين ويسار الطريق الذى تمر فيه المجموعة المغمومة ، الشجيرات والأشـــجار المقصوعة ، والتى تبدو كأقزام مشـــرهين يراقبون بعيون مستفسرة هؤلاء الذين تجاسروا ليخرجوا ليلا فى هذه الساعة النحس ·

وعلى فترات ، وفى فجائية مروعة يضيىء الأفق على طول مداه كله ، صفحة عريضة من البرق القاصف ، فى وثبات خاطفة على كتلة الأشجار السوداء ، ومثل السيف الباتر فاصلا السماء عن كل اتصال بالأرض ·· ولم يزعج الجو المغسول بالمطر أى نسمة هواء ·· وخيم

على الجميع صمت كالموت . أما الأرض فكانت محملة بالميـاه التى تتـألق مع قطرات المطر الأخيرة ، ونشرت الشجيرات والأعشاب المنتعشة رحيقها فملأ الجو كله .

وعندما وصلوا الى النهر توقفت الفرقة ، وقيد الرجل الطويل الملثم يدى ميليدى فى صمت ، ووضعها فى معدية وعبر معها الى الضفة المقابلة للنهر .

وبرزت هناك فى سواد مقابل خلفية من الضوء القادم من القمر ، رؤية سيف الرجل الملثم ذى المقبضين، وهو يرفع ويسقط مرة واحدة مؤديا واجبه .. انه الجـلاد العام .. وهو الذى وسـم ميليدى بزهرات السوسن منذ أحد عشر عاما فى ميدان عام بمدينة ليل .

الفصل السابع والعشرون

يتعرف نيافته على خط يده ، ويصــــدر قــرارا حكيمــا

أصــبح من عادة أصدقائنــا الأربعة ، عندما لا يكونون مع الملك أن يقضوا وقت فراغهم فى فندقهم المحبب ٠٠ وهناك ، لا يلعبون الورق ، ولا يشربون ، ولكن يتجاذبون أطراف الحديث فى هدوء ، متنبهين مع ذلك الى عدم وجود من يتصنت عليهم ٠

وفى أحد الأيام ، وهم يتبادلون الحديث فى هدوء بالفندق ، سمع دارتنيان اسمه يذكر ، ولما رفع بصره ، رأى رجل ميونج المجهول ، وبصرخة رضــا سحب سيفه واندفع نحو الباب ٠

وبدلا من أن يتجنبه ، هذه المرة ، نزل المجهول من على جواده ، وتقدم لمقابلة دارتنيان ·

فقال دارتنيان :

ـ آه يا سيدى ، أخيرا نلتقى ! ولكن لن تفلت منى هذه المرة ·

ـ هذه ليست نيتى يا سيدى ، فأنا أبحث عنك هذه المرة ، وباسم الملك أقبض عليك ·

فصرخ دارتنيان :

ـ ماذا تقول ؟

ـ يجب أن تسلم سيفك لى ياسيدى بدون مقاومة · وأحذرك بأن الأمر خطير جدا ·

فسأل دارتنيان خافضا سيفه دون أن يسلمه :

ـ من أنت ! اذن ؟

ـ أنا الشيفاليه (*)دى روشفورت المرافق الشخصى

(*) نبيل فرنسى من الدرجة الدنيا ·

لنيافة الكاردينال ريشيليو .. لدى أوامر بأن أقودك الى نيافته .

فقال آتوس مقاطعا :

– اننا كنا بالمصادفة فى طريقنا اليه ، ولذلك آمل أن تقبل كلمة مسيو دارتنيان بأنه سيذهب مباشرة لتقديم نفسه .

– ومع ذلك يجب أن أسلمه للحرس .

فقال آتوس :

– سنكون حرسه ياسيدى .. كلمة شرف من فرسان .

ثم أضاف بنظرة صارمة :

– وبكلمة شرف أيضا ، كفرسان لن يغادرنا مسيو دارتنيان .

نظر الشيفاليه دى روشفورت خلفه فرأى بورتس وأراميس ، فأدرك أنه تحت رحمة هؤلاء الرجال الأربعة .

ـ ياسادة ، اذا ناولنى مسيو دارتنيان سيفه ، وألحقه بكلمة شرف منه لكلمتكم سأكون مكتفيا بوعدكم أن تأخذوه الى نيافته ٠

فقال دارتنيان :

ـ أعطيك كلمة شرف ، وها هو سيفى ٠

فقال روشفورت :

ـ هذا يناسبنى جدا ، حيث أرغب فى مواصلة رحلتى ٠

فقال آتوس بهدوء :

ـ اذا كنت تأمل فى مقابلة ميليدى ، فلا تضيع وقتك ، لأنك لن تجدها ٠

فسأل الشيفاليه بشغف :

ـ ماذا حدث لها اذن ؟

ـ ارجع معنا ، وستعرف ٠

وعند عودة الكاردينال الى مكتبه في المساء التالى ، رأى دارتنيان منتظرا حتى يطلبه ، ولاحظ أن دارتنيان بدون سيفه ، ولاحظ أيضا أن الذين يحرسونه هم الفرسان الثلاثة الذين ليسوا الا الثلاثة غير المنفصلين : آتوس وبورتس وأراميس ·

وكان مع الكاردينال عدد من المرافقين ، لذلك فقد نظر بجدية الى دارتنيان وأشار له بيده أن يتبعه ، فأطاعه دارتنيان ·

فقال آتوس في صوت عال ليسمعه الكاردينال :

– سننتظرك يا دارتنيان ·

فعبس الكاردينال وتردد ، ثم سار في تفكير عميق الى مكتبه ·

ودخل مكتبه ، وأمر روشفورت ان يسمح للفارس الصغير بالدخول ·

وفى الحال وجد دارتنيان نفسه بمفرده مع

الكاردينـال الذى وقف بالقرب من المدفأة ، وكانت المائدة بينه وبين دارتنيان ٠

وقال الكاردينال :

ـ لقد تم القبض عليك حسب أوامرى ٠ أتدرى لماذا ؟

ـ كلا ، ياسيدى ، طالما أن الشىء الوحيد الذى تستطيع أن تقبض على من أجله لا تعرفه نيافتك بعد ٠

فنظر الكاردينال بثبات الى الفتى وقال :

ـ آه ! ما معنى هذا ؟

ـ هل تشرفنى نيافتك أولا بابلاغى بالجرائم المتهم فيها ؟ ٠

فقال الكاردينال :

ـ أنت متهم بجرائم كثيرة !

فسأل دارتنيان بهدوء حتى أن الكاردينال كان مذهولا :

ـ ما هى يا سيدى ؟

– أنت متهم بالمراسلة مع أعداء فرنسا ، أنت متهم بكشف أسرار الدولة ، أنت متهم بمحاولتك قلب خطط رئاستك ٠

فسأل دارتنيان بحزم مقتنعا بأن الاتهام قادم من ميليدى :

– من اتهمنى بذلك ياسيدى ؟ امرأة موسومة من قبل عدالة البلد ، امرأة متزوجة من رجل فى فرنسا وآخر فى انجلترا ، امرأة قتلت زوجها الثانى بالسم، وحاولت أن تتسبب فى اغتيالى مرتين ثم تسميمى ؟

فصاح الكاردينال فى اندهاش :

– ما الذى تقوله ياسيدى ؟ عن أى امرأة تتكلم ؟

فأجاب دارتنيان :

– عن ميليدى ونتر ٠ لا شك أن نيافتك تجهل جرائمها والا لما كنت قد شرفتها بثقتك ٠

فقال الكاردينال :

ـ سيدى ، اذا كانت ميليدى قد اقترفت هذه الجرائم الذى تتهمها بها فسوف تعاقب ·

فقال دارتنيان :

ـ لقد حدث ، وتمت معاقبتها ياسيدى !

ثم أخبره **بالمحاكمة السرية** وتنفيذ الحكم الفورى على ميليدى ·

ثم أضاف دارتنيان :

ـ ان غيرى كان يجيب فخامتكم بان لديه عفوك فى جيبه ·

فقال ريشيليو فى تعجب :

ـ عفوى · وموقع من من ؟

ـ من قبل فخامتكم ·

ـ من قبلى ! انك مخبول يا سيدى !

فأجاب دارتنيان :

– بلا شك ، ستتعرف نيافتكم على خط يدكم ·

ثم قدم قطعة الورق القيمة التى حصـــل عليها آتوس من ميليدى ، وأعطاها لدارتنيان كحماية ·

وأخذ الكاردينــال الورقة ، وقرأها فى صوت بطىء :

– ٣ ديسمبر ١٦٢٧

انه طبقا لأوامرى ، ومن أجل صالح الدولة ، فان حامل هذا ، قد قام بما قام به ·

« ريشيليو »

وقف الكاردينال مستغرقا فى تفكير عميق بعدما قرأ هذين السطرين ، وبدا عليه التردد ، لأنه قلب الورقة فى يده مرات ومرات ·

وفى النهاية رفع رأســه ونظر بثبات الى وجه دارتنيان الذكى الصريح ، ورأى ما قد يقدمه نشاطه

وشجاعته وادراكه لقائد حكيم · وميليدى ـ بجرائمها وسلطانها وشرورها ـ قد أزعجت تفكيره أكثر من مرة، والآن حيث انها ماتت ، شعر داخليا بالراحة ·

ثم جاء الى قراره ، ومزق الورقة ببطء ·

وذهب الى مكتبه ، وكتب أسطرا قليلة على صفحة مطبوعة تبدو هامة المظهر ، ثم ، وقع عليها ، ثم قال :

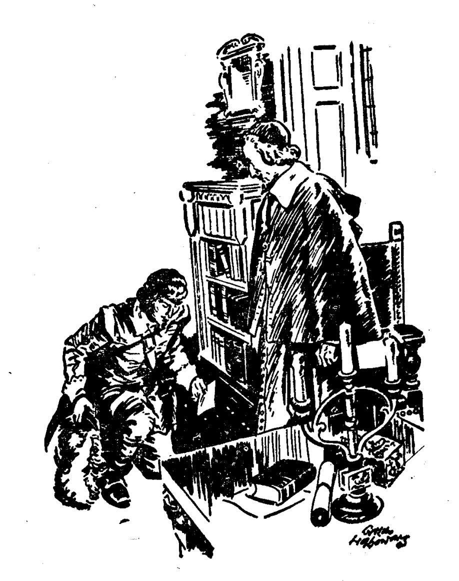
ـ يا فتى ، لقد أخذت منك ورقة لأعطيك أخرى· مطلوب اسم على هـذه الورقة التى أعطيتهـا لك ·· يمكنك كتابته بنفسك ·

وأخذ دارتنيان الورقة بأصابع مترددة ، وقرأها · كانت : ضابط مفوض فى الفرسان ·

فقال دارتنيان راكعا :

ـ سيدى · اننى لا أستحق هذا الجميل · فلدى أصدقاء ثلاثة أحق منى ·

فقـاطعه الكاردينال سـعيدا فى أنه كسب أخيرا الجاسكونى الهائج الطبع فى صفه :



انني لا استحق هذا الجميل يا سيدي !

ـ انك فتى شجاع يا دارتنيان · سجل أى اسم تحب ، ولكن تذكر أننى منحت المفوضية لك ·

ونادى ريشيليو ، عند ذلك ، على روشفورت ، الذى كان منتظرا خارج الباب ، وقال :

ـ روشفورت ، من الآن فصاعدا ، يتم استقبال مسيو دارتنيان كأحد أصدقائى ·

صافحا بعضكما ، وكونا حكيمين اذا أردتما انقاذ رأسيكما ·

وفى ذلك المساء ذهب دارتنيان الى آتوس وقدم له المفوضية ·

فقال آتوس :

ـ صديقى ، انها لشرف عظيم جدا لآتوس ولكن لكونت دى لافير تقريبا لا شىء ·

احتفظ بها ، انها تخصك أنت ·

ثم زار بورتس ، ولكنه رفض على أساس أنه سيتزوج قائلا :

– سأكون منشغلا بأمورى وبأرضى لأتمتع بهذا الامتياز · احتفظ بالمفوضية يا صديقى ·· احتفظ بها !

وكان أراميس منهمكا فى دراساته ، عندما زاره دارتنيان وقدم له المفوضية ·

فقال أراميس :

– مع الأسف يا صديقى العزيز · ان مغامراتنا الأخيرة جعلتنى أشمئز من حياة العسكرية · اننى على وشك الدخول الى الدير · احتفظ بالمفوضية يا دارتنيان فمهنة السلاح تلائمك ·

وعاد الى آتوس ، وأبلغه كيف رفض الاثنان الآخران ، وكان قلبه مفعما بالفرحة ، وعيناه مبتلتين بالدموع ، امتنانا وعرفانا بجميل رفاقه الثلاثة ·

وأخذ آتوس الوثيقة ، وكتب بيد ثابتة جسورة اسم دارتنيان بالكامل !!

فهرس

صفحة

صفحة

صـــدر منهـا

- **أوليفر تويست ٠**
  تأليف : تشارلس ديكنز ٠
  ترجمة : مختار السويفى ٠
- **الآمال الكبرى ٠**
  تأليف : تشارلس ديكنز ٠
  ترجمة : مختار السويفى ٠
- **ثورة على السفينة بونتى ٠**
  تأليف : وليم بلاى ٠
  ترجمة : مختار السويفى ٠
- **مغامرات شيرلوك هولمز ٠**
  تأليف : سير آرثر كونان دويل ٠
  ترجمة : محمد العزب موسى ٠

- **المغامرات المرحة لروبن هود ·**

تأليف : هوارد بايل ·

ترجمة : نادية فريد ·

- **الغـــاز ·**

تأليف : ادجار آلان بو

ترجمة : نادية فريد ·

- **عائلة من سويسرا ·**

تأليف : مارك توين ·

ترجمة : سناء صليحة ·

- **مغامرات توم سوير ·**

تأليف : يوهان فايس ·

ترجمة : مختار السويفى ·

- **مغامرات هكلبرى فين ·**

تأليف : مارك توين ·

ترجمة : مختار السويفى ·

- **رحلة كون تيكى ·**

تأليف : ثور هايردال ·

ترجمة : محمد العزب موسى ·

- **حكايات من شكسبير ·**

تأليف : وليم شكسبير ·

ترجمة : الشريف خاطر ·

- **المزيف ·**

تأليف : روبرت أونيل ·

ترجمة : صبرى الفضل ·

- **المخطـوف .**

تأليف : روبرت لويس ستيفنسـون .

ترجمة : صبري الفضل .

تحـت الطبـع

- **الأرض الطيبة .**

تأليف : بيرل بك .

ترجمة : صبري الفضل .

- **الفرسان الثلاثة .**

تأليف : الكسندر دوماس .

ترجمة : صبري الفضل .

- **حول العالم فى ثمانين يوما .**

تأليف : جول فيرن .

ترجمة : صبري الفضل .

- **رجال عظام ونساء عظيمات .**

تأليف : ليزلى ليفيت .

ترجمة : مختار السويفى .

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٦/٧٣٤٠

ISBN ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ١١٩٢ ـ ٩